مكتب الدار للدراسات والاستشارات التربوية والتعليمية
ADDARR OFFICE FOR STUDIES OF EDUCATIONAL AND CONSULTING

منهج الإسلام في رعاية
طلاب العلم المغتربين
٥

رعاية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للأنبياء وأتباعهم في القرآن

إعداد
مكتب الدار للدراسات والاستشارات
التربوية والتعليمية

إشراف
أ.د محمد بن عبدالعزيز العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
رئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

تم هذا المشروع
برعاية مؤسسة
آل الجميح الخيرية
الجميح الخيرية
AL ALJOMAIH CHARITY

رعاية طلاب العلم

مكتب الدار للدراسات والاستشارات التربوية والتعليمية
تحت إشراف معهد البحوث والدراسات الاستشارية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

منهج الإسلام في رعاية طلاب العلم المغتربين (٥)

رعاية الله
للأنبياء وأتباعهم في القرآن

مشروع بحثي قام به مكتب

الدار للدراسات والاستشارات التعليمية والتربوية

تحت إشراف معهد البحوث والدراسات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

إشراف

أ.د محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

رئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

١٤٣٩هـ

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأُمة وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وأصحابه ومن سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين.. وبعد:

الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً بشر من آحاد البشر، اصطفاهم الله بأن جعلهم أنبياء وأهَّلهم لذلك بالعلم، ليعلموا الناس ويرشدوهم إلى الله تعالى، وهذا العلم الذي تعلموه من عند الله تعالى أوحى الله به إليهم عن طريق جبريل عليه الصلاة والسلام، فلا غرابة أن نقول عن هؤلاء الأنبياء أنهم كانوا طلبة علم يتعلمون ويعلمون.

ولتلك الفئة الذين اصطفاهم الله أنبياء عنايةٌ خاصةٌ من الله تعالى، فالله تعالى هيأهم لحمل وتبليغ رسالته للناس، فحظوا بكل أنواع الرعاية الإلهية.

وهذا البحث محاولة لعرض رعاية الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام - قبل مبعث محمد ﷺ الذين اعتنى بهم الله تبارك وتعالى، وربَّاهم، وعلمهم، وأهَّلهم لحمل رسالته، وهذه المحاولة ليست على وجه التفصيل ولكن على وجه الإجمال مراعاةً لعدم الإطالة، لأن المقصود هو إيصال الفكرة، وعنونته بـ: **"رعاية الله رعاية الله لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم في القرآن"** وذلك ضمن موسوعة [**منهج الإسلام في رعاية طلاب العلم**].

مع التنبيه إلى أن رعاية الله تعالى لأنبيائه مستنبطة من أمرين:

الأول: نص الله تعالى على رعايته لهم ومخاطبتهم وتوجيهه المباشر لهم.

الثاني: من خلال مواقفهم وأعمالهم التي تدل على أن عناية وإعداداً ربانياً سبق التكليف بالدعوة واستمرت هذه العناية في كل مراحل الدعوة.

سبب اختيار الموضوع:

- الحاجة الشديدة لمنهج رباني في رعاية طلاب العلم.
- ربط الأُمة بالقرآن الكريم، والتأسي بسيرة الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام.
- إبراز جانب رعاية الله تعالى بطلاب العلم متمثلةً في رعايته لأنبيائه وعباده الصالحين.
- حاجة الأُمة إلى رعاية طلاب العلم فيها؛ لتكون مصنعاً يخرج أتباعاً وارثين تلك المهمة، وهي نشر ميراث النبوة وتبليغ الرسالة، وإيصال رحمة الله لخلقه.
- حاجة الأُمة إلى طلبة علم يقتدون بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتجاوب الإيجابي مع تلك الرعاية الإلهية سواء في تلقيهم العلم، أو في تبليغه لأقوامهم.
- بعد كثير من المعلمين والمربين وأهل الخير عن الاهتمام بجانب رعاية طلاب العلم.

خطة البحث:

هذا البحث يشتمل على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وقائمة بالمراجع، ثم فهرس للموضوعات، وكان ذلك وفق الخطة التالية:

المقدمة: وتشتمل على سبب اختيار الموضوع، وخطة البحث، ومنهجيته.

تمهيد: حول رعاية الله للأنبياء عموماً: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرعاية الشاملة لجميع الأنبياء.

المطلب الثاني: الرعاية الخاصة لبعضهم.

الفصل الأول: رعاية الله لأولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام:

المبحث الأول: رعاية الله لنوح عليه الصلاة والسلام:

المطلب الأول: الرعاية التربوية لنوح عليه الصلاة السلام.

المطلب الثاني: الرعاية الدعوية لنوح عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: رعاية الله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام:

المطلب الأول: الرعاية الخاصة من الله لنبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: الرعاية العلمية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: الرعاية التربوية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المطلب الرابع: الرعاية التربوية على السمع والطاعة المطلقة.

المطلب الخامس: الرعاية الأسرية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: رعاية الله لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وأمهما:

المطلب الأول: رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام من خلال أمه.

المطلب الثاني: رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام رعاية خاصة.

المطلب الثالث: الرعاية التربوية لموسى عليه الصلاة والسلام.

المطلب الرابع: الرعاية النفسية لموسى عليه الصلاة والسلام.

المطلب الخامس: الرعاية الدعوية لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام.

المبحث الرابع: رعاية الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ولأمه:

المطلب الأول: الرعاية التربوية لعيسى عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: الرعاية العلمية لعيسى عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: الرعاية النفسية وحفظ الله لعيسى عليه الصلاة والسلام.

المطلب الرابع: الرعاية الدعوية لعيسى عليه الصلاة والسلام.

المطلب الخامس: رعاية الله تعالى لوالدته مريم ﵂.

الفصل الثاني: نماذج من رعاية الله لبقية الرسل عليهم الصلاة والسلام:

المبحث الأول: رعاية الله لآدم عليه الصلاة والسلام وذريته:

المطلب الأول: الرعاية التربوية لآدم عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: الرعاية العلمية لآدم عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: رعاية الله لإسماعيل عليه الصلاة والسلام:

المطلب الأول: الرعاية التربوية والعلمية لإسماعيل عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: الرعاية الاجتماعية لإسماعيل عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: رعاية الله ليوسف عليه الصلاة والسلام:

المطلب الأول: الرعاية التربوية لنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: الرعاية العلمية لنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: الرعاية الأسرية لنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام.

المطلب الرابع: الرعاية الدعوية لنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام.

المطلب الخامس: الرعاية الأمنية لنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام.

المطلب السادس: الرعاية المهارية لنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام.

المطلب السابع: رعاية الله ليوسف عليه الصلاة والسلام وإخوته من خلال والدهم يعقوب عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الرابع: رعاية الله لداود عليه الصلاة والسلام:

المطلب الأول: الرعاية التربوية لداود عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: الرعاية العلمية لداود عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: الرعاية المهارية لداود عليه الصلاة والسلام.

المبحث الخامس: رعاية الله لسليمان عليه الصلاة والسلام:

المطلب الأول: الرعاية التربوية لسليمان عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: الرعاية العلمية لسليمان عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: الرعاية التربوية لسليمان عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: الرعاية المهارية لسليمان عليه الصلاة والسلام.

المطلب الرابع: الرعاية الدعوية لسليمان عليه الصلاة والسلام.

المبحث السادس: رعاية الله لأيوب عليه الصلاة والسلام:

المطلب الأول: رعاية الله تعالى أيوب عليه الصلاة والسلام من خلال ابتلائه.

المطلب الثاني: الرعاية التربوية لأيوب عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: الرعاية الصحية والاجتماعية لأيوب عليه الصلاة والسلام.

المبحث السابع: رعاية الله لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام:

المطلب الأول: الرعاية التربوية والعلمية لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: الرعاية الأسرية لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: الرعاية الدعوية لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام.

الفصل الثالث: رعاية الله لأتباع الأنبياء والرسل في طلب العلم وتعليمه:

المبحث الأول: قصة مؤمن آل فرعون:

المطلب الأول: عرض قصة مؤمن آل فرعون من القرآن.

المطلب الثاني: عرض قصة مؤمن آل فرعون باختصار.

المطلب الثالث: فوائد منهجية في رعاية طلاب العلم من خلال القصة.

المبحث الثاني: قصة موسى عليه الصلاة والسلام والخضر:

المطلب الأول: عرض قصة موسى والخضر من القرآن.

المطلب الثاني: معنى الآيات إجمالاً.

المطلب الثالث: الفوائد المستنبطة من القصة.

المبحث الثالث: قصة الغلام والساحر والراهب:

المطلب الأول: ما ورد من القصة في القرآن والسنة.

المطلب الثاني: الفوائد العملية من القصة.

المبحث الرابع: قصة أصحاب الكهف.

المطلب الأول: عرض إجمالي لقصة أصحاب الكهف.

المطلب الثاني: فوائد في رعاية طلاب العلم من قصة أصحاب الكهف.

الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث وتوصياته.

الفهارس: وفيه قائمة المصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

منهجية البحث:

المنهجية التي سلكتها في كتابة هذا البحث تتمثل في النقاط التالية:

- عزو الآيات المستشهد بها للسورة ورقم الآية عقب كل آية.
- الاعتماد على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في استنباط القواعد والأحكام.
- الاعتماد على كتب التفسير بالمأثور خاصة للبحث في معاني الآيات، وعلى كتب التفسير عامة في صياغة البحث ومسائله.
- التزام إيراد الأحاديث الصحيحة فقط، ولم نستشهد بحديث اتفق على ضعفه.
- الاعتماد في تصحيح الأحاديث على أقوال أهل الشأن في هذا المجال.
- الاجتهاد قدر المستطاع أن لا نذكر قاعدة ولا حكماً، ولا أمراً من أمور رعاية الله لأنبيائه وأتباعهم إلاّ وندلل عليه من القرآن، وما يفسره من السنة، وأقوال أئمة السلف.

- الالتزام قدر المستطاع عدم ذكر الخلاف في المسائل الفقهية.
- محاولة الفهم العميق، والإمعان القوي في نصوص الكتاب والسنة لاستخراج ذلك المنهج التربوي الرائد في رعاية طالب العلم.

واللهَ سبحانه أسأل أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله حجة لنا لا علينا وأن يلهمنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجبر تقصيري في هذا البحث، وأن يغفر ما كان فيه من خطأ وزلل، وأن يبارك فيه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أخوكم

أ. د. محمد بن عبدالعزيز العواجي

الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

تمهيد:
حول رعاية الله للأنبياء عموماً

بين الله تعالى في كتابه الكريم قصص عدد من الأنبياء والرسل لكي نستلهم منهجا متكاملا في حياتنا، وفي دعوتنا وتربيتنا.. ومن ذلك جانب رعاية الله تعالى لأنبيائه.. للنظر فيه ونتخذ منه سراجا نهتدي به في إعداد الدعاة وتخريج المربين..

وقد شملت هذه التربية وهذه الرعاية الربانية كل الأنبياء على حسب احتياج كل نبي أو رسول من جوانب الإعداد والتربية والرعاية المستمرة، ولكن اجتمع جميعهم في عدد مجالات الرعاية المهمة والأساسية نعرضها من خلال مطلبين:

المطلب الأول
الرعاية الشاملة لجميع الأنبياء

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٨٤ - ٩٠].

يمكن إجمال رعاية الله تعالى لأنبيائه من خلال الآيات في النقاط التالية:

١ - اصطفائهم واختيارهم لتلقي الوحي وإبلاغه:

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج: ٧٥] أي: "يختار ويجتبي من الملائكة رسلًا، ومن الناس رسلًا، يكونون أزكى ذلك النوع، وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق، والذي اختارهم واصطفاهم ليس جاهلًا بحقائق الأشياء، أو يعلم شيئًا دون شيء، وإنما المصطفى لهم، السميع البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعه وبصره بجميع الأشياء، فاختياره إياهم عن علم منه أنهم أهل لذلك، وأن الوحي يصلح فيهم، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[الأنعام: ١٢٤]"[(١)].

"لقد جرت سنة الله في خلقه أن يصطفي بعض عباده لمهمة النبوة والرسالة، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وهذا الاصطفاء والاختيار منة إلهية، امتن الله بها على الأنبياء والمرسلين، فلم يصلوا إليها بكسب ولا جهد، ولا كانت ثمرة لعمل أو رياضة للنفس قاموا بها، كما يزعم الضلال من الفلاسفة، حيث ذهبوا إلى أن

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٥٤٦.

النبوة مكتسبة، وأن من هذب نفسه بالخلوة والعبادة، وأخلى نفسه عن الشواغل العائقة عن المشاهدة، وراض نفسه، وهذبها، تهيأ للنبوة"(١).

٢ - إرشادهم وتعليمهم وهدايتهم إلى الطريق المستقيم:

فقد ذكر الله هدايته لهم في هذا المقطع ثلاث مرات: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وقال: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾

"وكرر الهداية على سبيل التوضيح للهداية السابقة، وأنها هداية إلى طريق الحق المستقيم القويم الذي لا عوج فيه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشرك"(٢).

قال ابن كثير: "ذكر أصولهم وفروعهم. وذوي طبقتهم، وأن الهداية والاجتباء شملهم كلهم؛ ثم قال: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ أي: إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إياهم"(٣).

وقال الجنيد: "أي أخلصناهم وآويناهم ودللناهم للاكتفاء بنا عما سوانا وهم أهل السابقة الذين سألوه سبحانه الهداية"(٤).

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة مريم بعد ذكر مجموعة من الأنبياء: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾[مريم: ٥٨].

---

(١) ينظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع لعبد الرؤوف محمد عثمان.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ١٧٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٩٨ - ٢٩٩. باختصار.

(٤) روح المعاني للألوسي ٧/ ٢٥٦ باختصار.

٣ - أنَّ الله آتاهم الكتاب والحكمة:

قال تعالى عن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ [الأنعام ٨٩]، وقال تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [آل عمران ٤٨].

وقال تعالى عن محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران ١٦٤].

فبين سبحانه الحكمة الإلهية من ذلك الإتيان والتعليم: وهو أن يبلغوه للناس، ويعلموهم إياه، ويربوهم عليه، تربية خاصة، تجعلهم حكماء بعد أن كانوا ضلالاً ضائعين، ولذا أمر أتباعهم من العلماء والأحبار بذلك؛ فقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران ٧٩].

٤ - جعل الله لهم من أبنائهم وذرياتهم صالحين ومصلحين:

قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وذريته: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم ٤٩ - ٥٠].

"فقد اعتزل إبراهيم أباه وقومه وعبادتهم وآلهتهم وهجر أهله وديارَه، فلم يتركه الله وحيدا. بل وهب له ذرية من الأنبياء وعوضه خيرا، ففي قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا ﴾ إشارة

إلى ذلك فالرحمة تذكر هنا لأنها هبة الله التي تعوض إبراهيم عن أهله وديارِه، وتؤنسه في وحدته واعتزاله".

وقال تعالى عن عدد من الأنبياء: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾[الأنعام ٨٥ – ٨٧].

٥ - تسخير الله معاشهم:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾[الفرقان٢٠]، "أي يتجرون ويحترفون"[(١)]. فجعل أمر الرعاية المادية للأنبياء كسائر الناس.

٦ - جمع الله لهم بين النبوة والابتلاء:

قال تعالى عن لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾[الأنبياء٧٤].

وقال تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾[القصص١٤].

فقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: "المحسنين في عبادة الله، المحسنين لخلق الله، نعطيهم علماً وحكماً بحسب إحسانهم، ودلَّ هذا على كمال إحسان موسى عليه الصلاة والسلام"[(٢)].

وقد بين النبي ﷺ ذلك صريحاً: ((**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب** – وفي رواية: **قدر** –

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ١٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٦١٣.

دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة))[(١)].

٧ - جمع الله لهم بين النبوة والبشرية:

من رعاية الله لأنبيائه أنه يهب لهم الأولاد ليشبع عندهم هذه الرغبة الإنسانية، وهذه الهبة جزاء ومكافأة على إحسانهم؛ قال تعالى عن زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء ٨٩ - ٩٠].

فهذه "آية من آيات الله في عنايته بأوليائه المنقطعين لعبادته»[(٢)]، "وكرم الرب يتجاوز طمع الأنبياء فيه - مع عظيم علمهم به - فلله ما أعظم إحسان ربنا! وما أوسع كرمه!"[(٣)].

وقد وهب الله عامة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أزواجاً وذرية ماعدا يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[الرعد: ٣٨].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٩٨)، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٤٠٢٣)، وأحمد برقم (١٤٨١) و(١٤٩١) و(١٥٥٥) و(١٦٠٧) و(٢٧٠٧٩)، وصححه الألباني في الصحيحة ١/ ٢٢٥ (١٤٣).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٧/ ١٢٣.

(٣) من تدبرات الشيخ إبراهيم الأزرق في مجموعة ليدبروا آياته.

المطلب الثاني

الرعاية الخاصة لبعضهم

إن المتتبع لآيات القرآن يجد رعاية الله تعالى لبعض أنبيائه في أمور معينة، من أهمها:

١ - مكن الله بعضهم من رعاية أبنائهم حتى جعلهم أنبياء:

ويتضح ذلك من أن كثيراً من الأنبياء رعوا أبناءهم، أو رعاهم أقرباؤهم من أي جهة كانوا، فأخرج الله منهم أئمة يدعون إلى الله:

فهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعتني بأبنائه ويوصيهم قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[البقرة ١٣٢].

وكذلك يعقوب عليه الصلاة والسلام يعتني بأبنائه، فيجمعهم ليطمئن على عقيدتهم كما قال تعالى: ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[البقرة ١٣٣]. ومن هنا يتضح دور الآباء والأقارب في رعاية طلاب العلم.

واستجاب الله تعالى لدعاء زكريا عليه الصلاة والسلام، واصطفى ابنه يحيى ليكون نبياً، كما قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ

قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٨ – ٣٩].

٢ - جمع الله لبعضهم بين النبوة والملك:

قال تعالى عن إبراهيم وذريته من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء ٥٤]. "ذلك ما أنعم الله به على إبراهيم وذريته من النبوة والكتاب والملك الذي أعطاه من أعطاه من أنبيائه كـ "داود" و"سليمان". فإنعامه لم يزل مستمرًا على عباده المؤمنين"(١).

وقال تعالى عن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[الأنبياء ٧٩].

وقال تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف ٢٢]. "أي: جعلناه نبيا رسولا وعالما ربانيا، ودل هذا، على أن يوسف وفَّى مقام الإحسان، فأعطاه الله الحكم بين الناس والعلم الكثير والنبوة"(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص١٨٢.

(٢) المصدر السابق ص٣٩٥.

الفصل الأول

رعاية الله لأولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام

وعلى هذا فإن المباحث التي سيتم دراستها هنا ما يلي:

المبحث الأول: رعاية الله لنوح عليه الصلاة والسلام:

المبحث الثاني: رعاية الله لإبراهيم عليه الصلاة السلام.

المبحث الثالث: رعاية الله لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ولأمهما.

المبحث الرابع: رعاية الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ولأمه.

تمهيد:

لقد أبرز القرآن الكريم عناية الله تعالى بأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، وبين كيف أن الله تعالى أولاهم عناية خاصة تمثلت في جميع أمور حياتهم الدينية والدنيوية، والعلمية والعملية، وأوصاهم بوصايا هي بمثابة قواعد في تأهيلهم للدعوة فساروا على منهاجها بعيدين عن كل ما يُخِل بنبوتهم ودعوتهم.

وفي هذا الفصل يتضح الأمر من خلال تسليط الضوء على جوانب رعاية الله تعالى لأولي العزم من الرسل وتلبية احتياجاتهم العلمية والتربوية والنفسية والأسرية وغيرها من جوانب الرعاية.

وقد أفردنا بحثا خاصا يلي هذا البحث عن رعاية الله لنبيه محمد ﷺ، ولم أستطع ضمه هنا لهذا البحث نظرا لطوله.

وقد دمجت بين رعاية الله لموسى وهارون نظرا لأن قصتهما في القرآن تأتي في سياق واحد، وخطاب الله لهما يأتي كذلك في خطاب واحد في عدد من المواضع.

المبحث الأول
رعاية الله لنوح عليه الصلاة والسلام

تظهر رعاية الله تعالى لنبيه نوح عليه الصلاة والسلام وعنايته به بما ظهر من مواقفه في دعوته، حيث دلت مواقفه الدعوية على عناية الله تعالى له، ويمكن إبراز هذا الجانب من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول
الرعاية التربوية لنوح عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله التربوية لنوح عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - تربيته على التعلق بالله وصدق اللجوء إليه في كل حين:

وهذا ظاهر في التجائه عليه الصلاة والسلام بشكواه لربه فيما يلاقيه من صدود وإعراض وأذى، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١١٦ - ١١٨]. "وربه يعلم أن قومه كذبوه. ولكنه البث والشكوى إلى الناصر المعين، وطلب النصفة، ورد الأمر إلى صاحب الأمر"[(١)].

وقد كان عليه الصلاة والسلام يبث شكواه لربه من عناد وتكذيب قومه، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ [نوح: ٥ - ٦].

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٠٨.

وقوله: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١]. وقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦].

"ذلك الدعاء المنبعث من قلب جاهد طويلا، وعانى كثيرا، وانتهى بعد كل وسيلة إلى اقتناع بأن لا خير في القلوب الظالمة الباغية العاتية، وعلم أنها لا تستحق الهدى ولا تستأهل النجاة، فأحيانا لا يصلح أي علاج آخر غير تطهير وجه الأرض من الظالمين، لأن وجودهم يجمد الدعوة إلى الله نهائيا، ويحول بينها وبين الوصول إلى قلوب الآخرين".

وكان ﷺ يدعو لنفسه ولمن آمن به، قال تعالى: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

٢ - تربيته على عبادة الشكر:

فقد اعتنى الله تعالى بنبيه نوح عليه الصلاة والسلام بغرس عبادة الشكر في قلبه، وتمكن نوح عليه الصلاة والسلام من القيام بهذه العبادة حتى صارت صفة لازمة له، فقد قال تعالى مادحا رسوله نوحا عليه الصلاة والسلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣] فأثنى عليه سبحانه بالعبودية والشكر.

وأتى بها على صيغة المبالغة، زيادة في بيان مكانة هذا النبي الكريم الذي كان ـ برغم ما عانى من قومه وقاسى في سبيل تبليغ دعوته مئات السنين – عبدا شاكرا لله على كل حال، ولذلك فإن أهل المحشر حين أرادوا استعطاف سيدنا نوح عليه الصلاة

والسلام ليشفع لهم عند ربه عز وجل نادوه بأحب ما وصفه الله به فقالوا: ((... **يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه...**))[1].

٣ - تربيته على الأمانة والعفة عما في أيدي الناس:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[الشعراء: ١٠٦ – ١٠٩].

فقد ربى الله نبيه ﷺ على هاتين الصفتين وأمر نبيه أن يخبر بهما قومه، لما لهما من أثر كبير في شخصية الداعية وأدعى لقبوله.

فالأمانة صفة أساسية لكل الأنبياء حيث أن الدعوة تحتاج لتلك الصفة في دقة التبليغ وشموليته وكذلك في أخلاقيات الداعية في التعامل مع المجتمع..

"والتنبيه على عدم طلب الأجر يبدو أنه كان دائما ضروريا للدعوة الصحيحة، تمييزا لها مما عهده الناس في الكهان ورجال الأديان من استغلال الدين لسلب أموال العباد. وقد كان الكهنة ورجال الدين المنحرفون دائما مصدر ابتزاز للأموال بشتى الأساليب. فأما دعوة الله الحقة فكان دعاتها دائما متجردين، لا يطلبون أجرا على الهدى. فأجرهم على رب العالمين".

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣](٤٧١٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيه(٤٨٠).

٤ - تربيته على الصبر:

فقد رباه الله على الصبر على مشاق الدعوة وانتفاخ الباطل وعناده، وكانت من ثمرة هذه التربية أن ضرب نوح عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى في الصبر على المدعوين في دعوته وفي تحمل أذيتهم وتكذيبهم، فلقد لبث في قومه يدعوهم إلى الله تسعمائة وخمسين عاما، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت:١٤] ومع ذلك ما آمن معه إلا قلة من الناس، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود:٤٠].

٥ - تربيته على الحلم:

فقد رباه الله تعالى على الحلم وضبط النفس عند أذية المعاندين والمكذبين، ويظهر ذلك في حلمه على قومه رغم أذيتهم له وسخريتهم به، فحينما رموه بالضلالة، كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فما رد عليهم ولا سفههم بل اكتفى بقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الاعراف:٦٠_٦١]. فانظر إلى قمة الرقي في الحلم؛ فحين وسموه بالضلالة لم يرد عليهم ويصفهم بالضلالة _ولئن فعل فهو محق_ لكنه اكتفى بنفي الضلالة عن نفسه.

٦ - تربيته على نصرة الضعفاء من المؤمنين:

من واجبات الداعية نصرة المظلومين، ولذا فقد ربى الله نبيه نوح عليه الصلاة والسلام على هذا الأمر، فكان نوح عليه الصلاة والسلام يدافع عن المستضعفين الذين معه ويدافع عنهم، حتى أنه لما احتقروا

أتباعه من الضعفاء رد عليهم بقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [هود: ٢٩ – ٣٠].

"كأنهم طلبوا منه طرد المؤمنين الضعفاء، فقال لهم: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي: ما ينبغي لي، ولا يليق بي ذلك، بل أتلقاهم بالرحب والإكرام، والإعزاز والإعظام.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ حيث تأمرونني بطرد أولياء الله وإبعادهم عني، وحيث رددتم الحق، لأنهم أتباعه، وحيث استدللتم على بطلان الحق بقولكم إني بشر مثلكم، وإنه ليس لنا عليكم من فضل. ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ أي: من يمنعني من عذابه، فإن طردهم موجب للعذاب والنكال، الذي لا يمنعه من دون الله مانع"[1].

وقد خاف نوح عليه الصلاة والسلام على الضعفاء الذين معه، حتى كان من أسباب دعائه على قومه خشيته على الضعفاء من إضلال الكبراء لهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦ – ٢٧].

"فلفظة ﴿عِبَادَكَ﴾ توحي بأنهم المؤمنون. وذلك بفتنتهم عن عقيدتهم بالقوة الغاشمة، أو بفتنة قلوبهم بما ترى من سلطان الظالمين وتركهم من الله في عافية!".

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٣٨١.

المطلب الثاني
الرعاية الدعوية لنوح عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله لنوح عليه الصلاة والسلام الدعوية في النقاط التالية:

١ - تعليمه أسس الدعوة:

علم الله نبيه نوح ﷺ أولويات الدعوة، وهو توحيد الله تعالى، ولذا فإن أول ما نادي به نوح عليه الصلاة والسلام قومه؛ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأعراف:٥٩].

وعلمه كذلك كيف يقرر التوحيد ويقنع به؛ ويظهر هذا في قول نوح عليه الصلاة والسلام لقومه قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[نوح:١٣ - ٢٠].

٢ - توجيهه إلى النصح للمدعوين والشفقة عليهم:

تظهر ثمرة هذه العناية في قول نوح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٤]، وقال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٦٢].

"والنصيحة: الإرشاد إلى المصلحة مع خلوص النية من الشوائب المكروهة"(١).

ويظهر كذلك من أسلوبه عليه الصلاة والسلام وهو يخاطب قومه مشفقاً عليهم، قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩].

ويظهر أيضا في قول نوح لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود:٢٥]، "أي: بينت لكم ما أنذرتكم به، بيانا زال به الإشكال"(٢).

قال ابن عاشور: "وعُدل عن أن يقال له أنذر الناس إلى قوله: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾[نوح: ١] إلهاباً لنفس نوح ليكون شديد الحرص على ما فيه نجاتهم من العذاب، فإن فيهم أبناءه وقرابته وأحبته"(٣).

وتظهر ثمرة هذه التربية كذلك في قول نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ إلى أن قال: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾[نوح:٥ - ٩]. "فقوله: ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ عبارة عن استمرار دعوته وأنه لم يتوان فيها قط، ثم كرر عليه الصلاة والسلام صفة دعوته لهم؛ بيانا وتأكيدا، وجهارا؛ أي: علانية في المحافل، والإسرار؛ ما كان من دعاء الأفراد بينه وبينهم على انفراد، وهذا غاية الجد"(٤).

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٣/ ٤٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٣٨٠.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٩/ ١٨٧.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ٣٧٣.

٣ - تربيته على الترفق بالمدعوين:

وهذا ظاهر في تكرار مناداته لهم بـ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ﴾، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود:٢٨].

"وهذا تلطف في الخطاب معهم وترفق بهم في الدعوة إلى الحق، فهو يقول لهم: ﴿أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾؛ أي النبوة والرسالة، ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ فلم تفهموها ولم تهتدوا إليها، ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ أي: أنغصبكم بها ونجبركم عليها ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾"[(١)].

وقد تجلى هذا الأسلوب أيضاً في تكرار مناداة نوح عليه الصلاة والسلام لابنه الذى أبى أن يؤمن، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [هود: ٤٢]، فقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ ﴾ إشعاراً له بقربه منه وحنوه وشفقته عليه، أملاً في استجابته للحق والإذعان لرب العالمين[(٢)].

٤ - تعليمه أسلوب الترغيب والترهيب:

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[نوح:١ – ٤]، فرغبهم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٠٨.

(٢) انظر هذه الأساليب: المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة، عبدالكريم زيدان: ١/ ١٣٠ – ١٤٤.

في أنهم لو عبدوا الله وأطاعوا رسوله؛ يغفر لهم ذنوبهم ويمتعهم في هذه الدار، ويدفع عنهم الهلاك إلى أجل مسمى؛ أي: مقدرٍ للبقاء في الدنيا بقضاء الله وقدره، وليس المتاع أبدا، فإن الموت لا بد منه[1] وفي هذا ترهيبهم من بقائهم على كفرهم وعنادهم حتى يأتيهم الأجل.

وقال أيضاً مرغبا لهم: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[نوح:١٠ - ١٢]، فرغبهم فيما تشتهيه نفوسهم من الأموال والبنين والجنات والأنهار، وبين لهم أن ذلك ثمرة للإيمان والاستغفار.

٥ - تعليم الله له صناعة السفن:

من رعاية الله لنبيه نوح عليه الصلاة والسلام أن علمه مهارة صناعة السفن معجزة له، ونجاة له ولمن آمن معه، حيث أنه لما بلغ من كفر قوم نوح مبلغه؛ وأوحى الله تعالى إلى نبينا نوح عليه الصلاة والسلام ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود ٣٦]؛ توجه إلى ربه: ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾[القمر:١٠] و﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾[المؤمنون: ٢٦].

وكان قد أمره ربه عز وجل بصنع سفينة يحمل فيها من آمن معه إذا جاء أمر الله، ويحمل معه أيضا من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه روح من المأكولات وغيرها لبقاء نسلها،

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٨٨٨.

وأن يحمل معه أهله إلا من سبق عليه القول منهم، أي: إلا من كان منهم كافرا، وجعل له علامة بداية هذا الأمر أن يفور الماء من التنور الذي يخبز فيه[١].

قال تعالى مبينا ذلك: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[المؤمنون: ٢٧].

٦ - التخفيف على نوح عليه الصلاة والسلام مما يلاقيه في دعوته:

قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[هود: ٣٦] "أي: فلا تحزن، ولا تبال بهم، وبأفعالهم، فإن الله قد مقتهم، وأحق عليهم عذابه الذي لا يرد"[٢].

"فلا تحس بالبؤس والقلق، ولا تحفل ولا تهتم بهذا الذي كان منهم، لا على نفسك فما هم بضاريك بشيء، ولا عليهم فإنهم لا خير فيهم".

---

(١) هو أحد أقوال ستة في تفسير معنى "**وفار التنور**" انظر جميع ذلك في: النكت والعيون، الماوردي (٢/ ٤٧٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي: (٢/ ٣٧٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٣٨١.

المبحث الثاني
رعاية الله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام

تنوعت رعاية الله تعالى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فنلحظ فيها الجانب العلمي مع العملي، والجانب التربوي، والجانب الاجتماعي في الأسرة، وإليك بيانها في المطالب التالية:

المطلب الأول
الرعاية الخاصة من الله لنبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام

يمكن إبراز رعاية الله الخاصة بإبراهيم في النقاط التالية:

١ - اجتباء الله وهدايته لإبراهيم عليه الصلاة والسلام:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[النحل ١٢ - ١٢٢].

قوله: "﴿ ٱجْتَبَىٰهُ ﴾ أي: اختصه بخلته وجعله من صفوة خلقه، وخيار عباده المقربين، ﴿ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ في علمه وعمله، فعلم الحق وعمل به وآثره على غيره. ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ رزقا واسعا، وزوجة حسناء، وذرية صالحين، وأخلاقا مرضية ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ الذين لهم المنازل العالية والقرب العظيم من الله تعالى"[(١)].

٢ - أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلًا:

كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٤٥١.

والخلة أعلى أنواع المحبة، وهذه المرتبة حصلت للخليلين وهما محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فعن جندب -رضي الله عنه- أنه سمع النبي ﷺ يقول قبل أن يتوفى: ((**إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا**))[١].

والخُلَّة لله تعالى هى كمال المحبة ومنتهاها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأن الخلة هي كمال المحبة المستغرقة للحب كما قيل قد تخلَّلت مسلك الروح مني وبذا سمى الخليل خليلا"[٢].

ولذلك كان - عليه الصلاة والسلام - موفق في دعوته مسدد في تبليغه آيات ربه، فكلما كان الداعية قريب الصلة بربه، قائماً بما يستلزم محبة الله له من واجبات ومستحبات وأنواع القربات المتنوعة، كان ذلك أحرى أن يعينه ربه سبحانه وتعالى في قبول الناس لدعوته وامتثالهم لِما يرشدهم إليه من أوامر الله تعالى.

٣ - حفاوة الله بإبراهيم عليه الصلاة والسلام:

قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم٤٧].

"أي مبالغا في اللطف بي"[٣]، "رحيما رؤوفا بحالي، معتنيا بي"[٤].

لقد أحس إبراهيم عليه الصلاة والسلام برعاية الله له وحفاوته به، فنطق لسانه بهذا عند طرد أبيه وتوعده له، فهو يعلم أن ربه لن يضيعه فقد تعود من ربه أن يكرمه ويستجيب له.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٩٩ رقم (٤٠١٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ٤٢٠.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ١٠١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٤٩٤.

٤ - آتاه الله الرشد:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء: ٥١] "يخبر تعالى عن خليله إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – أنه آتاه ﴿ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾، أي: أعطاه من الرشد، الذي كمل به نفسه، ودعا الناس إليه، ما لم يؤته أحدا من العالمين، غير محمد، وأضاف الرشد إليه، لكونه رشدا، بحسب حاله، وعلو مرتبته، وإلا فكل مؤمن، له من الرشد، بحسب ما معه من الإيمان. ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ أي: أعطيناه رشده، واختصصناه بالرسالة والخلة، واصطفيناه في الدنيا والآخرة، لعلمنا أنه أهل لذلك، وكفء له، لزكائه وذكائه، ولهذا ذكر محاجته لقومه، ونهيهم عن الشرك، وتكسير الأصنام، وإلزامهم بالحجة"[(١)].

٥ - أهله الله تعالى ليكون أمة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]. فالرجل الأمة هو الرجل الجامع لخصال الخير حتى يقوم مقام أمة من الناس[(٢)]، وهذا هو المقصود في حق إبراهيم، وهذه تدلنا على عظيم ما كان يتصف به إبراهيم من عبادة ودعوة وخلق حري بأن يحتذي به الدعاة في حياتهم وتزكية أنفسهم، واجتهاد أحدهم في تقويم أخلاقه والنشاط في دعوته ليقوم مقام أمة في ذلك. وقيل أن المقصود بالأمة هنا: أي الإمام، أي قدوة يقتدى به في الخير، وممن قال به ابن جرير الطبري وابن كثير[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٥٢٥.

(٢) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان ٧/ ٣٣٤.

(٣) جامع البيان للطبري (١٧/ ٣١٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٦١١.

قال العلامة السعدي ﷺ: "يخبر تعالى عما فضل به خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام وخصه به من الفضائل العالية والمناقب الكاملة، فكان إماماً جامعاً لخصال الخير، هادياً مهتدياً،مدياً لطاعة ربه،مخلصاً له الدين،مقبلاً على الله بالمحبة والإنابة والعبودية، معرضاً عما سواه من عبادة غير الله في قوله وعمله وجميع أحواله،لأنه إمام الموحدين الحنفاء"(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "الأمة هو معلم الخير الذي يؤتم به، كما أن القدوة الذي يقتدي به، والله جعل من ذريته النبوة والكتاب،وإنما بعث الأنبياء بعده بملته"(٢).

فقد كان الخليل عليه الصلاة والسلام قدوة للعالمين، لأنه إمام المتقين، وإمام الحنفاء الذي أمر الله نبيه ﷺ وأمته اتباع ملته، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٥]. وقال أيضاً: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦١].

٦ - حفظ الله لإبراهيم من النار:

من رعاية الله تعالى الخاصة بإبراهيم عليه الصلاة والسلام أن نجاه من مكر قومه به حينما أردوا أن يحرقوه، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٤٥١.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠ / ٢٠٢.

﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾[الأنبياء ٦٨ - ٧١].

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨﴾[الصافات: ٩٧ - ٩٨].

"قال بعض العلماء إن الله تعالى لو لم يقل وَسَلاماً لهلك إبراهيم من برد النار"[1]، "لا نسأل: كيف لم تحرق النار إبراهيم، والمشهود المعروف أن النار تحرق الأجسام الحية؟ فالذي قال للنار: كوني حارقة. هو الذي قال لها: كوني بردا وسلاما. وهي الكلمة الواحدة التي تنشئ مدلولها عند قولها كيفما كان هذا المدلول. مألوفا للبشر أو غير مألوف"، إنها قدرة الله التي يغير بها السنن ليحفظ أوليائه.

٧ - تطمين قلبه برؤيته مقدرة الله على إحياء الموتى:

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾[البقرة ٢٦٠].

"فأخبر تعالى عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يريه ببصره كيف يحيي الموتى، لأنه قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى، ولكنه أحب أن يشاهده عيانا ليحصل له مرتبة عين اليقين، فلهذا قال الله له: ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ

(١) أضواء البيان للشنقيطي ٤/ ٨٨.

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ﴾ وذلك أنه بتوارد الأدلة اليقينية مما يزداد به الإيمان ويكمل به الإيقان ويسعى في نيله أولو العرفان"[١].

قال شيخ الإسلام ﷺ: "والتحقيق في هذا الباب أن العيان أتم وأكمل، والسماع أعم وأشمل، فيمكن أن يعلم بالسماع والخبر أضعاف ما يمكن علمه بالعيان والبصر أضعافا مضاعفة ولهذا كان الغيب كله إنما يعلم بالسماع والخبر ثم يصير المغيب شهادة، والمخبر عنه معاينا، وعلم اليقين عين اليقين"[٢].

فتطمين قلب طالب العلم للعلم من الأمور المهمة لتثبيتها في قلبه ولكي يكون على مقدرة لتبليغها للناس وتبينها.

المطلب الثاني
الرعاية العلمية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله تعالى العلمية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

أولًا: تعليمه التفكر في خلقه:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام ٧٥]. والمعنى: "كما أرينا إبراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الأصنام نريه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص١١٢.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/ ٦٤٦.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ لأنه تعالى كان أراه بعين البصيرة أن أباه وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بأن أراه بعد ذلك ﴿ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى"[١]. وفي هذا "إشارة إلى حجّة مستنبطة من دلالة أحوال الموجودات على وجود صانعها.

والرؤية هنا مستعملة للانكشاف والمعرفة، فالإراءة بمعنى الكشف والتعريف، فتشمل المبصرات والمعقولات المستدلّ بجميعها على الحق وهي إراءة إلهام وتوفيق، كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[الأعراف: ١٨٥]، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام ابتدأ في أوّل أمره بالإلهام إلى الحقّ كما ابتدأ رسول الله ﷺ بالرؤيا الصادقة. ويجوز أن يكون المراد بالإراءة العلم بطريق الوحي.

وقد حصلت هذه الإراءة في الماضي فحكاها القرآن بصيغة المضارع لاستحضار تلك الإراءة العجيبة كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا ﴾ [فاطر: ٩].. وإضافة ملكوت السماوات والأرض على معنى [في]، والمعنى ما يشمله المِلك أو المُلك، والمُراد مُلك الله. والمعنى نَكْشِف لإبراهيم دلائل مخلوقاتنا أو عظمة سلطاننا كشفاً يطلعه على حقائقها ومعرفة أن لا خالق ولا متصرّف فيها كشفنا له سوانا"[٢].

---

(١) لباب التأويل للخازن ٢/ ٤٠٨.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٤/ ٤٩٧.

ثانياً: تعليمه قوة الحجة:

ويظهر ذلك في عدة مواقف منها: موقفه في محاجة قومه، وموقفه في هدم الأصنام، وموقفه في مناظرة النمرود، فإن الله رفعه بالعلم واليقين وقوة الحجج.

ويشير إلى ذلك القرآن في عدد من الآيات وفي التعقيب على مواقف المناظرة وإقامة الحجة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام ٧٥].

وقال تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾[الأنعام ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّۚ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ﴾[الأنعام: ٨٠-٨١]

"بين أنه تعالى قد أحسن إليه، فهو يرجوه لمثل ذلك الإحسان، ويخافه من عواقب العصيان، لأن من رُجي خيره خيف ضيره، ومن كان بيده النفع والضر والهداية والإضلال فهو من وضوح الأمر وظهور الشأن بحيث لا توجه نحوه المحاجة"(١).

ثالثاً: تعليمه قوة المناظرة:

ويظهر أثر هذا التعليم الرباني من الله لإبراهيم عليه السلام في عدد من المواقف منها:

(١) نظم الدرر للبقاعي ٢/ ٦٦١.

مناظرته قومه في عبادة غير الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[الأنعام ٧٤ - ٧٩].

وكذلك عندما هدم الأصنام، فناظرهم بقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٣ - ٦٧]

فقد استثارهم لإعمال العقل وأمرهم بالتوجه بالسؤال إلى الأصنام التي يعرفون أنها لن ترد عليهم.

وفي مناظرته للنمرود مدعي الألوهية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[البقرة: ٢٥٨]

فقد تضمنت قصص الخليل عليه الصلاة والسلام الخبر عنه في فن المناظرة وآدابها، وطرقها ومسالكها النافعة، وكيفية إلزام الخصم بالطرق الواضحة التي يعترف بها أهل العقول، وإلجاؤه الخصم الألد إلى الاعتراف ببطلان مذهبه، وإقامة الحجة على المعاندين وإرشاد المسترشدين.

رابعاً: تعليمه البناء:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة ١٢٧]. فإن الله تعالى أمره أن يبني الكعبة، وأَهَّله لذلك العمل، وجعل ابنه يساعده في ذلك.

ويؤخذ من هذا درس لطيف وهو أنَّ **على الدعاة أن تكون لديهم خبرات في تلبية احتياجات الدعوة**، فعندما أمر الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ببناء الكعبة، كانت تحتاج إلى معرفة وخبرة بالبناء، فالله سبحانه وتعالى كما علمه الوحي والرسالة، كذلك أكسبه وأعطاه خبرة البناء ليقوم بهذا العمل على أكمل وجه.

ويظهر هذا الأمر كذلك في رعاية الله لنوح عليه الصلاة والسلام حيث أكسبه مهنة النجارة لحاجة الدعوة إليها في مرحلة مهمة من مراحلها.

وكذلك علم سليمان وداود ويوسف عليهم الصلاة والسلام علم الحكم والقيادة والقضاء لطبيعة الدعوة وما تحتاجه من إمكانيات مناسبة لواقع الدعوة، ودور الداعية في إصلاح الدنيا والدين.

المطلب الثالث
الرعاية التربوية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام

تبين من خلال سيرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه حظي برعاية تربوية ربانية أوصلته لمرتبة عالية عظيمة في علاقته بربه، وكذلك في علاقته بقومه وصبره على دعوتهم، نبرز لك من خلال النقاط التالية:

١ - تربيته على الأدب مع الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾[الشعراء: ٧٥-٨١].

فقوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ "إسناده فعل المرض إلى نفسه تأدب مع الله راعى فيه الإسناد إلى الأسباب الظاهرة في مقام الأدب، فأسند إحداث المرض إلى ذاته ولأنه المتسبب فيه"(١).

"فلما كان المرض ضرراً، نزهه عن نسبته إليه أدباً وإن كانت نسبة الكل إليه سبحانه معلومة"(٢).

فلا ينسب مرضه إلى ربه وهو يعلم أنه بمشيئة ربه يمرض ويصح إنما يذكر ربه في مقام الإنعام والإفضال إذ يطعمه ويسقيه ويشفيه، ولا يذكره في مقام الابتلاء حين يبتليه.

٢ - تربية الله له على أدب الحوار:

ويتضح هذا من خلال مواقف **أدبه في الحوار مع والده:**

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩/ ١٤٢.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٣٦٩.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾[مريم: ٤٢-٤٧].

بهذا اللطف والأدب في الحوار يتوجه إبراهيم إلى أبيه، يحاول أن يرشده إلى الخير الذي هداه الله إليه، وعلمه إياه؛ وهو يتحبب إليه ويتجنب أي أسلوب يؤذي نفسية والده.

٣ - تربيته على الدعاء والالتجاء إليه:

ويظهر أثر هذه التربية الربانية جلياً في كثرة الأدعية التي وردت في القرآن على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك:

دعائه عندما تطلعت نفسه للولد، حيث دعا ربه بأن يرزقه الذرية الصالحة بقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[الصافات: ١٠٠].

ودعائه عند بناء الكعبة دعا له ولذريته، ولمكة وأهلها ولكل من جاء بعده، فقال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

وكما في دعائه عندما ترك زوجته وابنه فقد كان دعاؤه: ﴿رَّبَّنَآ

إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾[إبراهيم: ٣٧].

وكذلك في دعائه بعد محاولة دلالة والده على التوحيد:﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٣ – ٨٧].

٤ - تربيته على الإيمان بأنه لا يمسه إلا ما كتب له:

فقد ربى الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام على أنه لا يمسه إلا ما كتبه الله، وأن نواميس الكون تتغير لعباد الله الصالحين ولن يخذل الله عباده، كما في نجاته من النار.

قال تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء ٦٩]. وقال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾[الصافات: ٩٧ – ٩٨].

٥ - تربيته إدراك النعمة وعلى حمد الله وشكره على نعمه:

قال تعالى واصفا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[النحل: ١٢١] أي قائماً بشكر نعم الله عليه، "أي قائما بشكر نعم الله عليه، مستعملا لها على الوجه الذي

ينبغي، كقوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[النجم: ٣٧]، أي قام بجميع ما أمره الله تعالى به"[١].

ويتضح أثر هذه التربية الربانية من خلال حمده ربه على نعمة الذرية، والثناء على الله بأنه سميع الدعاء وذلك في قوله تعالى:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩] "فهبتهم من أكبر النعم، وكونهم على الكبر في حال الإياس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهم أنبياء صالحين أجل وأفضل، ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ أي: لقريب الإجابة ممن دعاه وقد دعوته فلم يخيب رجائي"[٢].

"ويذكر إبراهيم نعمة الله عليه من قبل فيلهج لسانه بالحمد والشكر شأن العبد الصالح يذكر فيشكر، فالله وهبة الذرية على الكبر وهذا أوقع في النفس. فالذرية امتداد. وما أجل الإنعام به عند شعور الفرد بقرب النهاية، وحاجته النفسية الفطرية إلى الامتداد. وإن إبراهيم ليحمد الله، ويطمع في رحمته".

٦ - تربيته على التواضع وطلب قبول العمل وعدم الإعجاب بالنفس وبالعمل:

وتظهر ثمرة هذه التربية في مواقف منها:

قال تعالى:﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ – ١٢٨]. "أي عملنا بفضلك ولا ترده علينا، إشعاراً بالاعتراف بالتقصير

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ٤٢٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٤٢٧.

لحقارة العبد وإن اجتهد في جنب عظمة مولاه"[١]. "إنه طلب القبول.. هذه هي الغاية.. فهو عمل خالص لله. الاتجاه به في قنوت وخشوع إلى الله. والغاية المرتجاة من ورائه هي الرضى والقبول.. والرجاء في قبوله متعلق بأن الله سميع للدعاء. عليم بما وراءه من النية والشعور".

"هذا الدعاء استتابه لما فرط من التقصير. فإن العبد، وإن اجتهد في طاعة ربه، فإنه لا ينفك عن التقصير من بعض الوجوه إما على سبيل السهو والنسيان، أو على سبيل ترك الأولى، فالدعاء منهما، عليهما السلام، لأجل ذلك"[٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢] "فهو لا يبرئ نفسه، وهو يخشى أن تكون له خطيئة، وهو لا يعتمد على عمله، ولا يرى أنه يستحق بعمله شيئا، إلا أنه يطمع في فضل ربه، ويرجو رحمته، وهذا وحده هو الذي يطمعه في العفو والمغفرة.. إنه شعور التقوى، وشعور الأدب، وشعور التحرج وهو الشعور الصحيح بقيمة نعمة الله وهي عظيمة عظيمة، وقيمة عمل العبد وهو ضئيل ضئيل".

وقد "أسند الخطيئة إليه هضماً لنفسه وتواضعاً لربه، أي تقصيري عن أن أقدره حق قدره، فإن الضعيف العاجز لا يبلغ كل ما ينبغي من خدمة العلي الكبير، وما فعله فهو بإقداره سبحانه فلا صنع له في الحقيقة أصلاً"[٣].

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ١/ ٢٤٢.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ١/ ٣٩٨.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٣٦٩.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣]، فقوله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ فيه التواضع! والتحرج! والإشفاق من التقصير! والخوف من تقلب القلوب! والحرص على اللحاق بالصالحين! بتوفيق من ربه إلى العمل الصالح الذي يلحقه بالصالحين!

وكذلك في قوله: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام ٨٠] "فإبراهيم في عمق إيمانه، واستسلام وجدانه، لا يريد أن يجزم بشيء إلا مرتكنا إلى مشيئة الله الطليقة، وإلى علم الله الشامل، فيكل إلى مشيئة الله حمايته ورعايته ويعلن أنه لا يخاف من آلهتهم شيئاً، لأنه يركن إلى حماية الله ورعايته. ويعلم أنه لا يصيبه إلا ما شاءه الله، ووسعه علمه الذي يسع كل شيء..".

٧ - تربية الله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام على خلق الحلم:

وصف الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ [هود: ٧٥] "أي: ذو خلق حسن وسعة صدر، وعدم غضب، عند جهل الجاهلين"[(١)].

والحلم: ضبط النفس والطبع عن الهيجان عند الاستثارة[(٢)]، والحليم "أي غير عجول على الانتقام من المسيء"[(٣)].

ولم يصل إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى هذا الخلق لولا توفيق الله له

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٣٨٦.

(٢) الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، لعبد العليم إبراهيم ١/ ٩٩.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ١١٧.

وتعليمه، ولأن الداعية يحتاج إلى مثل هذا الخلق في دعوته، وقد برز أثر هذا الخلق في موقفه من مقالة أبيه: ﴿ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾ [مريم٤٦] بعدما دعاه بأسلوب مهذب، حيث قابل إبراهيم مقالة أبيه بكل حلم فقال: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ ﴾[مريم٤٧].

٨ - تربيته على خشية الله والتوبة إليه:

وصف الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴾[هود: ٧٥]، ﴿ أَوَّٰهٞ ﴾ "أي: متضرع إلى الله في جميع الأوقات، ﴿ مُّنِيبٞ ﴾ أي: رجَّاع إلى الله بمعرفته ومحبته، والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه"[(١)]. فالأواه "إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ أي كثير التأوه من فرط الرحمة، ورقة القلب"[(٢)].

٩ - تربيته على الكرم والسخاء:

ومن آثار تلك التربية قوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾[الذاريات: ٢٤ – ٢٧]. فإبراهيم عليه الصلاة والسلام: "انسل بخفية وسرعة، وذلك من حسن ضيافته. لم يقل: انتظروا آتي لكم بالطعام. ولم يقم متباطئاً كأنما يدفع دفعاً، وإنما قام بسرعة منسلاً، لئلا يقوموا إذا رأوه ذهب إلى أهله، فكأنه أخفى الأمر عنهم، ولم يجعله بعيداً، ويقول: قوموا إلى طعامكم، بل خدمهم حتى جعله بين أيديهم، وقربه إليهم. ولم يقل: كلوا. إنما عرضه عليهم عرضاً، لأن هذا أبلغ في الإكرام، والعرض أخف

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٣٨٦.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٥/ ٥١٥.

وألطف من الأمر، إذ إنه لو قال: كلوا. كان يحتمل أنه أراد أن يستعلي عليهم ويوجه الأمر إليهم"[١].

١٠ - تربيته على الشجاعة:

ربى الله نبيه إبراهيم على خلق الشجاعة، وبرز أثر على الخلق في مواقف كثيرة منها:

عندما واجه إبراهيم قومه ولم يخش كيدهم فقال مقسماً: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾[الأنبياء: ٥٧]، وقوله لهم: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[الأنبياء: ٦٧].

وعند مواجهته عليه الصلاة والسلام للنمروذ ومحاججته له قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾[البقرة: ٢٥٨].

وكان ذلك لعلم إبراهيم بأن معه القوة التي لا تهـــزم، وأن مـــا أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فرسم للدعاة منهجاً في الشجاعة المنضبطة بضوابط الشرع بلا تهور يحتذونه في مواجهة الباطل من إقرار الحق.

١١ - سلامة القلب:

لقد مدح الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بسلامة القلب، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ٨٣ – ٨٤] "أي أقبل إلى توحيده بقلب خالص من الشوائب، باق على الفطرة، سليم عن النقائص والآفات، محافظ

(١) تفسير ابن عثيمين – جزء الذاريات – ص١٣٥.

على عهد التوحيد الفطريّ، منكر على من غيّر وبدّل"[١].

"وإذا كان قلب العبد سليما، سلم من كل شر، وحصل له كل خير، ومن سلامته أنه سليم من غش الخلق وحسدهم، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق، ولهذا نصح الخلق في الله، وبدأ بأبيه"[٢].

المطلب الرابع
الرعاية التربوية
على السمع والطاعة المطلقة[٣]

فقد وصف الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾[النحل: ١٢٠] والقنوت: لزوم الطاعة والمداومة على العبادة مع الخضوع[٤]، فكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام ملازماً لطاعة الله على كل حال، ويظهر أثر تلك التربية ذلك في موقفين:

الموقف الأول: الاستسلام لله عندما أمره بذبح ابنه:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٨/ ٢١٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧٠٥.

(٣) هذا الأمر داخل في الرعاية التربوية، ولكن لأهميته تم إبرازه في هذا المطلب لأهميته لطلاب العلم ولكي يعيه القائمون على رعاية طلاب العلم في رعايتهم لما له الأثر الكبير في حياتهم ودينهم.

(٤) النكت والعيون للماوردي ٣/ ٢١٩.

شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٦].

نقف هنا وقفة تأمل لهذا الاستسلام العظيم الذي لا تملك الأقلام تصويره إلا كما يصوره رب العالمين في كتابه، نقف وقفة في ظلال هذه الآيات وقفة إعزاز وإكبار لهذه التربية الإيمانية العظيمة التي جعلت إبراهيم عليه الصلاة والسلام يصل إلى هذه الدرجة العالية من الطاعة والاستسلام.

لله ما أروع الإيمان والطاعة والتسليم! فإبراهيم شَابَ عُمره ثم يُرزق في كبره بغلام طالما تطلَّع إليه.

ولما رُزقه كان غلاماً متميزاً يشهد له ربه بأنه حليم. وما يكاد يأنس به، وصباه يشبُّ؛ فيبلغ معه السعي، ويرافقه في الحياة.. ما يكاد يأنس ويستروح بهذا الغلام الوحيد؛ حتى يرى في منامه أنه يذبحه!!. ويدرك أنها أمر من ربه بالتضحية. فماذا؟ إنه لا يتردد، ولا يخالجه إلا شعور الطاعة، ولا يخطر له إلا خاطر التسليم.. نعم إنها مجرد رؤيا. ولكنها وحيٌ من ربه؛ وهذا يكفي ليلبي ويستجيب، ودون أن يعترض، ودون أن يسأل ربه؛ لماذا يا رب أذبح ابني الوحيد؟!

فهو لا يلبي في انزعاج، ولا يستسلم في جزع، ولا يطيع في اضطراب.. كلا إنما هو القبول والرضا والطمأنينة والهدوء، يبدو ذلك في كلماته لابنه وهو يعرض عليه الأمر الهائل في هدوء وفي اطمئنان عجيب: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾.

فهي كلمات المالك لأعصابه، المطمئن للأمر الذي يواجهه، الواثق بأنه يؤدي واجبه.

وإنَّ الأمر شاقٌّ؛ وما في ذلك شك.. إذ يُطلب إليه أن يتولى هو بيده ذبحه.. وهو مع هذا يتلقى الأمر هذا التلقي، ويعرض على ابنه هذا العرض؛ ويطلب إليه أن يتروى في أمره، وأن يرى فيه رأيه! إنه لا يأخذ ابنه على غرة لينفذ أمر ربه.

ويخطو إلى التنفيذ: ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾. هنا يرتفع نبل الطاعة، ويعظم الإيمان. فهو طمأنينة الرضا وراء كل ما تعارف عليه بنو الإنسان، وقد وصل الأمر إلى أن يكون عياناً. لقد أسلما.. فهذا هو الإسلام؛ إذ كلاهما لا يجد في نفسه إلا هذه المشاعر التي لا يصنعها غير الإيمان العظيم، وعلم الله من إبراهيم وإسماعيل صدقهما، فاعتبرهما قد أدَّيا وحققا وصدقا: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ ﴾..

"قد صدقت الرؤيا وحققتها فعلاً. فالله لا يريد إلا الإسلام والاستسلام بحيث لا يبقى في النفس ما تكنه عن الله أو تعزه عن أمره أو تحتفظ به دونه، ولو كان هو الابن فلذة الكبد".

الموقف الثاني: تركه لزوجته وابنه في مكة:

قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾[إبراهيم: ٣٧].

عن ابن عباس ﷺ قال: "جاء إبراهيم بهاجر وبابنها إسماعيل، عليهما السلام، وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زَمْزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسِقَاء فيه ماء، ثم قَفَّى إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، منطلقًا. فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذًا لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات، ورفع يديه، قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧]"[1].

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام في هذا الموقف يظهر منه التربية على الاستسلام لله تعالى، وأن هذا الاستسلام لا يأتي إلا بخير، وخصوصاً إذا علمنا موقف هاجر وزمزم؛ وإنجاء الله لها وابنها من العطش، فكل هذا نتاج تربية من الله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام على الاستسلام.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب يزفون برقم (٣١٨٤).

المطلب الخامس
الرعاية الأسرية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام

ظهرت رعاية الله تعالى الأسرية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام في عدد من المواقف التي تشهد بهذه الرعاية الربانية، نجملها في النقاط التالية:

١ - جعله الله تعالى باراً بأبيه مؤدباً في الحديث معه:

فقد حرص إبراهيم عليه الصلاة والسلام على هداية والده بأسلوب لين سهل، ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [مريم: ٤١ – ٤٥].

"لقد سلك عليه الصلاة والسلام في دعوته أحسن منهاج، وأقوم سبيل. واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل. لئلا يركب متن المكابرة والعناد. ولا ينكب، بالكلية، عن محجة الرشاد.. حتى أنه لم يخل تخويفه سوء العاقبة من حسن الأدب، حيث لم يصرّح بأن العقاب لاحق له، وأن العذاب لاصق به، ولكنه قال أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ فذكر الخوف والمس ونكّر العذاب"[(١)].

(١) محاسن التأويل للقاسمي للقاسمي ٧/ ٩٩ – ١٠١ باختصار.

ولكن والده قابل ذلك بالجفوة والقسوة عليه في الكلام، ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]"ب هذه الجهالة تلقى الرجل الدعوة إلى الهدى. وبهذه القسوة قابل القول المؤدب المهذب. وذلك شأن الإيمان مع الكفر وشأن القلب الذي هذبه الإيمان والقلب الذي أفسده الكفر".

ولكنه من بره لأبيه جاء رده وحرصه عليه وعلى هدايته: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[مريم٤٧].

٢ - رزقه الله ابناً باراً يطيعه ويساعده:

وهذا الجزاء من جنس العمل، فقد عوض الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن أبيه خيراً، بأن رزقه ابناً صالحاً باراً، فمن بره بأبيه أنه كان يساعده في بناء الكعبة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة ١٢٧].

واستجاب له في أمر الذبح عندما قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ فرد إسماعيل الابن البار على أبيه مباشرة: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الصافات ١٠٢].

وكذلك أطاعه عندما أمره أن يطلق زوجته فقد أخرج البخاري في قصة إبراهيم: ((... **فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم. فقالت: نحن بشرٍّ نحن في ضيق وشدة فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه الصلاة والسلام**

وقولي له: يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته: أنّا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم. أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك. قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها، وتزوج أخرى.

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد، فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه. قالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم. قالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله. فقال ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك في اللحم والماء: - ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه - قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه الصلاة والسلام ومريه يثبت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة. وأثنت عليه. فسألني عنك فأخبرته. فسألني: كيف عيشنا. فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة أمرني أن أمسكك))[1].

٣ - أشبع الله تعالى له رغبة الأبوة رحمة منه سبحانه:

فقد رزقه الله على الكبر في السن مع عقم الزوجة أبناء صالحين، ورثوا علمه ودعوته، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم٣٩].

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب يزفون برقم(٣١٨٤).

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[هود: ٧٢-٧٣].

٤ - حفظ الله لأسرته:

وذلك عندما ترك زوجته وابنه إسماعيل في مكة، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم٣٧].

وكذلك عندما أراد أحد الحُكَّام أن يعتدي على زوجته سارة[(١)].

وكذلك عندما فدى الله له ابنه من القتل، ذلك عندما أمره الله أن يذبح ابنه، قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[الصافات١٠٧].

"فالله لا يريد أن يعذب النفوس ولا يؤذيها بالابتلاء، إنما يريد أن تأتيه طائعة ملبية وافية مؤدية. مستسلمة لا تقدم بين يديه، ولا تتألى عليه، فإذا عرف منها الصدق في هذا أعفاها من التضحيات والآلام. واحتسبها لها وفاء وأداء. وقبل منها وفدّاها. وأكرمها كما أكرم أباها".

٥ - رعاية الله له في صلاح أولاده وأن تكون النبوة فيهم:

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾[ص: ٤٥ – ٤٨]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن

---

(١) القصة أخرجها كاملة البخاري كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه (٢١٠٤) و(٢٤٩٢، ٣١٧٩، ٤٧٩٦، ٦٥٥٠)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام (٢٣٧١)..

دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾[مريم ٤٩].

"وإنما اقتُصر على ذكر إسحاق ويعقوب دون ذكر إسماعيل، لأن إبراهيم لما اعتزل قومه خرج بزوجه سارة قريبته، فهي قد اعتزلت قومها أيضاً إرضاء لربها ولزوجها، فذكر الله الموهبة الشاملة لإبراهيم ولزوجه، وهي أن وهب لهما إسحاق وبعده يعقوب؛ ولأن هذه الموهبة لما كانت كِفاء لإبراهيم على مفارقته أباه وقومه كانت موهِبةَ من يعاشر إبراهيم ويؤنسه وهما إسحاق ويعقوب"[(١)].

وقال تعالى في موضع آخر، يقول تعالى منبها إلى هذه الأمر من الرعاية: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢ – ٧٣].

"لقد ترك إبراهيم عليه الصلاة والسلام وطنا وأهلا وقوما. فعوضه الله الأرض المباركة وطنا خيرا من وطنه. وعوضه ابنه إسحاق وحفيده يعقوب أهلا خيرا من أهله. وعوض من ذريته أمة عظيمة العدد قوما خيرا من قومه. وجعل من نسله أئمة يهدون الناس بأمر الله".

٦ - تربية إسماعيل بطريقة غير مباشرة عن طريق أمه:

تعلم إسماعيل عليه الصلاة والسلام من أمه الإيجابية والجدية وعدم اليأس في طلب الرزق، وذلك عندما كانت أمه تسعى بين الصفا والمروة تبحث عن ماء في أرض لا يوجد بها ماء، ولكنها لم

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦/ ١٢٤.

تيأس، ففجر الله تعالى من تحته ماء زمزم حتى أصبح هذا درس للبشرية كلها وليس لإسماعيل عليه الصلاة والسلام فقط[١].

٧ - بشارته بولده إسحاق وحفيده يعقوب وصلاحهم ونبوتهم:

كما بشر الله تعالى إبراهيم بإسماعيل، بشره كذلك بإسحاق وأنه سيكون له ذرية من الأنبياء، وهذا من أعظم البشريات أن يعرف الرجل انه سيكون له أبناءً وأحفاداً ولن ينقطع عقبه، وستكون الفرحة أكثر عندما يعلم أن هؤلاء الأبناء صالحين ومصلحين بل وأنبياء.

قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾[الصافات: ١١٢ - ١١٣]. وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٤]. وقال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[هود: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

٨ - صلاح زوجاته عليه الصلاة والسلام:

من نعم الله تعالى على إبراهيم ورعايته له أن أصلح له زوجتيه هاجر وسارة ﵄، فقد كانتا خير عون له على دعوته ولم تكونا حجر عثرة في طريق دعوته وتبليغ دين الله تعالى، بل كانتا مثبتتين له عند الشدائد تتحملان عبء التكليف معه.

---

(١) انظر حديث البخاري المتقدم.

ويظهر هذا في قول هاجر لإبراهيم قبل أن ينصرف، عندما تركها في مكة مع ولدها إسماعيل في مكان ليس فيه ماء ولا زرع، قالت له: "آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا"[١].

نعم. إن صلاح الزوجة، من أكبر النعم التي ينعم الله بها على أي مسلم والداعية خصوصا.

وهذه الأمور التي رعى الله تعالى فيها إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ هي رعاية لأبنائه كذلك؛ فإسماعيل عندما يرى والده قد مر بذلك التأهيل والرعاية من الله، فذلك تربية له أيضا، وما كان من رعاية الله لوالده من الناحية الأسرية فإن ذلك رعاية لإسماعيل وإسحاق ويعقوب لأنهم من ذرِّية إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا} (٣٣٦٤).

المبحث الثالث
رعاية الله لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وأمهما

موسى عليه الصلاة السلام من الأنبياء الذين نص الله على رعايتهم، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[طه٣٩]. "كيف يصف لسان بشري، خلقاً يصنع على عين الله؟ إنها منزلة وإنها كرامة أن ينال إنسان لحظة من العناية. فكيف بمن يصنع صنعا على عين الله؟".

ويمكن محاولة بيان رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول
رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام من خلال أمه

ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية:

١ - رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام من خلال إرضاع أمه له وعنايتها به:

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[القصص٧] "وإنما أمرها الله بإرضاعه لتقوى بُنيته بلبان أمه فإنه أسعد بالطفل في أول عمره من لبان غيرها، وليكون له من الرضاعة الأخيرة قبل إلقائه في اليمّ قوت يشد بنيته فيما بين قذفه في اليم وبين التقاط آل فرعون إياه وإيصاله إلى بيت فرعون"[(١)].

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٠/ ٧٣.

٢ - إنجائه من القتل وهو صغير بالوحي إلى أمه أن تقذفه في اليم:

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[القصص٧]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ ﴾[طه٣٨ - ٣٩].

و"هذا والله التسليم للشريعة! ألقته دون أن تسأل عن الحكمة مع شدة غرابة الأمر!"(١). "إشارة إلى الثقة بالله، والثقة سواد عين التوكل، ونقطة دائرة التفويض، وسويداء قلب التسليم"(٢).

وهنا تظهر عناية الله تعالى بأمه وتربيته لها حتى وصلت إلى هذا المقام. نعم "إنه هنا.. في اليم.. في رعاية اليد التي لا أمن إلا في جوارها، اليد التي لا خوف معها. اليد التي لا تقرب المخاوف من حماها. اليد التي تجعل النار بردا وسلاما، وتجعل البحر ملجأ ومناما".

٣ - رعاية الله تعالى لموسى بالتثبيت لأمه:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[طه٣٧ - ٣٩]. وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[القصص: ١٠].

(١) من تدبرات الشيخ ابن قاسم - مجموعة ليدبروا آياته.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٤٥٦.

"فمن حسن تدبير الله تعالى ورعايته لموسى وأمه، أن موسى لما وقع في يد عدوه، قلقت أمه قلقا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا، وكادت تخبر به، لولا أن الله ثبتها وربط على قلبها، ففي هذه الحالة، حرم الله على موسى المراضع، فلا يقبل ثدي امرأة قط، ليكون مآله إلى أمه فترضعه، ويكون عندها، مطمئنة ساكنة، قريرة العين، فجعلوا يعرضون عليه المراضع، فلا يقبل ثديا"[١].

٤ - رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام برده إلى أمه:

أمرت أم موسى عليه الصلاة والسلام أخته أن تحاول أن تعرف أي معلومة عن أخيها، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾[القصص١١]، أي: "أبصرته على وجه كأنها مارَّة لا قصد لها فيه، وهذا من تمام الحزم والحذر؛ فإنها لو أبصرته وجاءت إليهم قاصدة لظنوا بها أنها هي التي ألقته، فربما عزموا على ذبحه عقوبة لأهله"[٢]. وهذا كذلك جانب من الرعاية حيث ألهم الله أم موسى وأخته الحيطة والحذر والذكاء في هذا الموقف.

وجاءت أخت موسى: ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[القصص١٢ - ١٣]. وهنا لم تصرح أخته

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٥٠٥.

(٢) المصدر السابق ٦١٣.

بأنها أخته أو أنها تعرفه، بل أخبرت أنها تعرف أهل بيت قادرين على التعامل مع مثل حالته، فقد حرم الله المراضع على موسى "تحريماً قدرياً، وذلك لكرامته عند الله وصيانته له أن يرتضع غير ثدي أمه"[١].

"فأقر الله عينها برجوعه إليها. وانتفاءَ حزنها بتحقق سلامته من الهلاك ومن الغرق وبوصوله إلى أحسن مأوى"[٢].

"ما أعظمها من منحة إلهية لأمته المؤمنة إذ جعل من المحبة الهينة اللينة درعاً تتكسر عليها الضربات وتتحطم عليه الأمواج. وتعجز قوى الشر والطغيان كلها أن تمس حاملها بسوء؛ ولو كان طفلاً رضيعاً لا يصول ولا يجول، إنها مقابلة بين القوى الجبارة الطاغية التي تتربص بالطفل الصغير، والخشونة القاسية فيما يحيط به من ملابسات وظروف، ورحمة مولاه اللينة اللطيفة تحرسه من المخاوف، وتقيه من الشدائد وتلفه من الخشونة، ممثلة في المحبة لا في صيال أو نزال".

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٦٨.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦/ ٢١٩.

المطلب الثاني
رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام رعاية خاصة

يظهر هذا في التصريح في القرآن برعاية الله لموسى وذلك من خلال ما يأتي:

١ - تصريح الله بحبه لموسى:

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[طه٣٩] "أي: واقعة مني، زرعتها في قلب من يراك. ولذلك أحبك فرعون"[(١)]. "ما أعظمها من منحة إلهية لأمته المؤمنة إذ جعل من المحبة الهينة اللينة درعاً تتكسر عليها الضربات وتتحطم عليه الأمواج. وتعجز قوى الشر والطغيان كلها أن تمس حاملها بسوء؛ ولو كان طفلاً رضيعاً لا يصول ولا يجول، إنها مقابلة بين القوى الجبارة الطاغية التي تتربص بالطفل الصغير، والخشونة القاسية فيما يحيط به من ملابسات وظروف، ورحمة مولاه اللينة اللطيفة تحرسه من المخاوف، وتقيه من الشدائد وتلفه من الخشونة، ممثلة في المحبة لا في صيال أو نزال".

٢ - تصريح الله بأنه صنعه على عينه:

قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[طه٣٩] قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: "يعني أجعله في بيت الملك ينعم ويترف، غذاؤه عندهم غذاء الملك، فتلك الصنعة"[(٢)].

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ١٥٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٢٨٤.

والمعنى: "ولتتربى على نظري وفي حفظي وكلاءتي، وأي نظر وكفالة أجلّ وأكمل، من ولاية البر الرحيم، القادر على إيصال مصالح عبده، ودفع المضار عنه؟! فلا ينتقل من حالة إلى حالة، إلا والله تعالى هو الذي دبّر ذلك لمصلحة موسى"[١].

"وذلك عند فرعون عدوك وعدوي وفي متناول يده بلا حارس ولا مانع ولا مدافع. ولكن عينه لا تمتد إليك بالشر لأني ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[طه٣٩] ويده لا تنالك بالضر وأنت تصنع على عيني. ولم أحطك في قصر فرعون بالرعاية والحماية وأدع أمك في بيتها للقلق؛ بل جمعتك بها وجمعتها بك".

٣ - صناعة موسى خالصاً لله:

قال تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[طه: ٤١] "أي: أجريت عليك صنائعي ونعمي، وحسن عوائدي، وتربيتي، لتكون لنفسي حبيبا مختصا، وتبلغ في ذلك مبلغا لا يناله أحد من الخلق، إلا النادر منهم، وإذا كان الحبيب إذا أراد اصطناع حبيبه من المخلوقين، وأراد أن يبلغ من الكمال المطلوب له ما يبلغ، يبذل غاية جهده، ويسعى نهاية ما يمكنه في إيصاله لذلك، فما ظنك بصنائع الرب القادر الكريم، وما تحسبه يفعل بمن أراده لنفسه، واصطفاه من خلقه؟"[٢].

"يقال: اصطنع الأمير فلانا لنفسه، أي جعله محلّا لإكرامه باختياره وتقريبه منه، بجعله من خواص نفسه وندمائه، فاستعير استعارة تمثيلية من ذلك المعنى المشبه به إلى المشبه. وهو جعله نبيّا مكرما كليما منعما عليه بجلائل النعم"[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٥٠٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٥٠٤.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ١٢٦.

٤ - اصطفاء الله لموسى بالرسالة والكلام:

صرح الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام أنه اصطفاه بالرسالة وخصه بالكلام، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]. "أي: اخترتك واجتبيتك وفضلتك وخصصتك بفضائل عظيمة، ومناقب جليلة، ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ التي لا أجعلها، ولا أخص بها إلا أفضل الخلق، ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ إياك من غير واسطة، وهذه فضيلة اختص بها موسى الكليم، وعرف بها من بين إخوانه من المرسلين"(١).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ [طه: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء ١٦٤]، وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف١٤٣].

٥ - كان مقرباً من الله:

فقد وصف الله رسوله موسى عليه الصفات بصفة جليلة، وهي القرب منه سبحانه. فقال عز وجل: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم: ٥٢]. أي: "وأدنيناه مناجيا"(٢)، وقال الماوردي: "فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه قربه من الموضع الذي شرفه وعظمه بسماع كلامه. الثاني: أنه قربه من أعلى الحجب حتى سمع صرير القلم الذي كتب به التوراة. الثالث: أنه قربه تقريب كرامة واصطفاء لا تقريب اجتذاب وإدناء"(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٣٠٢.

(٢) جامع البيان للطبري ١٨/ ٢١٠.

(٣) النكت والعيون للماوردي ٣/ ٣٧٦.

٦ - كانت له الوجاهة عند الله تعالى:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾ [الأحزاب: ٦٩]. "أي له وجاهة ومكانة عند الله فِي الدنْيَا، بما يوحِيه اللَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الشريعة، وَيُنَزل عليه من الكتاب، وَغير ذلِك مما منحه بِه، وَفِي الدَّارِ الْآخِرَة يَشفع عند اللَّهُ فِيمَنْ يَأْذَن لَه فِيه، فيقبل مِنه، أسْوَة بإِخْوَانِه مِنْ أُولِي الْعزْمِ، صَلَوَات اللَّهُ عليهِمْ"[(١)].

المطلب الثالث

الرعاية التربوية لموسى عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال بعض معالم رعاية الله تعالى لموسى والتي تحمل بعداً تربويا في النقاط التالية:

١ - أمْرُ الله سبحانه وتعالى لموسى أن يأخذ ما يوحى إليه بقوة:

قال تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾ [الأعراف١٤٥].

فقوله: ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ "أي بعزم على العمل بما فيها"[(٢)] و"بجد واجتهاد على إقامتها"[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٢/ ٤٣.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٥/ ١٨٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٣٠٢.

فمن رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام أن حثه وأمره ووجهه بأن يأخذ الكتاب والعلم الذي فيه بقوة، ولا يتوانى أو يكسل عن حفظه وفهمه وتبليغه، وتنبيهاً لموسى عليه الصلاة والسلام أن الأمر ليس سهلاً ولكنه مليء بالصعوبات فيجب التمسك بمنهج الله وبالعلم الذي يوحى إليه.

٢ - تربيته على طلب العلم:

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: ((**بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل إذ جاءه رجلٌ فقال هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله عز وجل إلى موسى: بلى عبدنا خَضِر، فسأل السبيل إلى لقيه...**))[1].

فقد آتى الله موسى عليه الصلاة والسلام علما ونبوة ورسالة، ولكنه برغم ذلك كان يحب أن يتعلم ما لا يعلم. فلما أخبره الله أن هناك من هو أعلم منه، رحل إليه طالبا للعلم الذي عنده. بكل تواضع. قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف ٦٥ - ٦٩]. فانظر كيف صار تابعاً لهذا العبد الصالح كي يتعلم منه العلم النافع.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى عليه الصلاة والسلام في البحر إلى الخضر (٧٤) وباب الخروج في طلب العلم (٧٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه الصلاة والسلام (٢٣٨٠).

٣ - تربية الله تعالى لموسى على الشكر:

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[الأعراف ١١٤].

"فأما أمر الله تعالى لموسى بأخذ ما آتاه، والشكر على الاصطفاء والعطاء، فهو أمر التعليم والتوجيه لما ينبغي أن تقابل به نعمة الله. والرسل صلوات الله وسلامه عليهم قدوة للناس وللناس فيهم أسوة وعلى الناس أن يأخذوا ما آتاهم الله بالقبول والشكر استزادة من النعمة وإصلاحاً للقلب وتحرزاً من البطر واتصالاً بالله".

٤ - تربيته على الحياء:

فقد ربى الله تعالى موسى على خلق الحياء، فكان موسى عليه الصلاة والسلام حييا ستيرا، فعَنْ أَبِي هريرة رضي اللّهّ عَنْهُ قال: قال رسول اللّهَّ صَلى اللّهَّ عَلَيْهِ وسلمَ: ((**إن موسَى كَان رَجلا حَيِيّا سِتيرا لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاء مِنْهُ**))[(١)].

٥ - تربيته على الصبر:

أوذي موسى عليه الصلاة والسلام أذىً شديداً من فرعون وقومه فصبر على ذلك، كما أخبرنا نبينا ﷺ. عَنْ عَبْدِ اللّهَّ بن مسعود رَضي اللّهَّ عَنْهُ، قَالَ: لما كان يوم حنين، آثر النبي ﷺ أناسا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٣٢٢٣).

مثل ذلك، وأعطى أناسا من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن النبي ﷺ، فأتيته، فأخبرته، فقال: **((فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر))**[(١)].

وكذلك صبر على بني إسرائيل وعلى عنادهم وتعنتهم واعتراضهم ومعصيتهم كما حكى القرآن الكريم من قصصهم الشيء الكثير.

٦ - تربيته على التواضع لله تعالى:

ويظهر أثر هذه التربية في موقفين:

الأول: عندما تم العقد بينه وبين الرجل الصالح في مدين قال له: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[القصص٢٧]، "قصد بذلك تعريف خلقه لصاحبه، وليس هذا من تزكية النفس المنهي عنه، لأن المنهي عنه ما قصد به قائله الفخر والتمدح، فأما ما كان لغرض في الدين أو المعاملة فذلك حاصل لداع حسن"[(٢)].

وهذا "أدب جميل في التحدث عن النفس وفي جانب الله. فهو لا يزكي نفسه، ولا يجزم بأنه من الصالحين. ولكن يرجو أن يكون كذلك، ويكل الأمر في هذا لمشيئة الله".

الثاني: عندما أراد طلب العلم عند الخضر، وبين له الخضر أنه لن يستطيع الصبر مع بقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ [الكهف٦٧].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب ما كان يعطي النبي ﷺ المؤلفة قلوبهم وغيرهم (٢٩٣٣).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٠/ ١٠٩.

هنا قال موسى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾[الكهف٦٩]، فـ"قوى تأكيده بالتبرك بذكر الله تعالى لعلمه بصعوبة الأمر ليعلم أنه منهاج الأنبياء وسبيل الرسل"[(١)]، "يعزم موسى على الصبر والطاعة، ويستعين الله، ويقدم مشيئته".

٧ - تربيته على أدب التواضع لأهل الفضل:

وهذا ظاهر في تواضعه للخضر والحديث معه بأدب طالب العلم، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾[الكهف: ٦٥ – ٦٩].

"قال القاضي: وقد راعي في ذلك غاية التواضع والأدب. فاستجهل نفسه، واستأذن أن يكون تابعا له، وسأل منه أن يرشده وينعم عليه، بتعليم بعض ما أنعم الله عليه. أي وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم"[(٢)].

يقول الشيخ السعدي: "التأدب مع المعلم، وخطابه بألطف خطاب، وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقاره إلى علمه، بل يدعي أنه يتعاون هو وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جدًا، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم"[(٣)].

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٤/ ٤٩٢.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٤٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨٢.

٨ - تربيته على إظهار الافتقار إلى الله:

ويظهر هذا في قصته عندما دخل مدين، فعلي رغم ما أعطاه الله لموسى عليه الصلاة والسلام من قوة البدن، إلا أنه كان مفتقراً لله. قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص ٢٤]. فمن أدب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنهم يتوجهون إلى الله أولا بفقرهم وذلتهم له ولا يطلبون حاجتهم من الله تعالى مباشرة حتى في وقت الحاجة الشديدة. وفي هذا "إشارة إلى سبب من أسباب إجابة الدعاء، وهو إعلان الافتقار إلى الله، وإظهار المسكنة إليه"[(١)].

وكذلك عندما رفض بنو اسرائيل دخول الأرض المقدسة، حيق قال موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[المائدة ٢٥]. "دعوة فيها الألم. وفيها الالتجاء. وفيها الاستسلام. وفيها - بعد ذلك - المفاصلة والحسم والتصميم! وإنه ليعلم أن ربه يعلم أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه.. ولكن موسى في ضعف الإنسان المخذول. وفي إيمان النبي الكليم. وفي عزم المؤمن المستقيم، لا يجد متوجهاً إلا لله. يشكو له بثه ونجواه، ويطلب إليه الفرقة الفاصلة بينه وبين القوم الفاسقين".

٩ - تربيته على الدعاء وكثرة الذكر:

فقد وجه الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بكثرة ذكره ودعائه، فقال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه٤٢]، "يقول: ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما، فإن

(١) من تدبرات د. محمد الربيعة - مجموعة ليدبروا آياته.

ذكركما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما، لأنكما إذا ذكرتماني، ذكرتما مني عليكما نعما جمة، ومننا لا تحصى كثرة"[١]. "ولا تنيا في ذكري فهو عدتكما وسلاحكما وسندكما الذي تأويان منه إلى ركن شديد".

ومن التطبيق العملي من موسى عليه الصلاة والسلام لهذه التربية في عدد من المواقف منها:

عندما خرج من مصر خائفا من بطش فرعون وتوجه إلى مدين، دعا الله كما قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[القصص ٢١ - ٢٢]. ثم لما سقى للمرأتين توجه لربه يدعوه بقوله: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص ٢٤].

وعندما أمره الله أن يذهب لفرعون لدعوته واستنقاذ بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[طه: ٢٥ - ٣٥].

وعندما اهتز الجبل به وببني إسرائيل الذين اختارهم، قال تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

(١) جامع البيان للطبري ١٨/ ٣٢١.

ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا ۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

عن محمد بن إسحاق قال: "لما رجع موسى إلى قومه، ورأى ما هم فيه من عبادة العجل اختار موسى منهم سبعين رجلا الخيِّر فالخيِّر، وقال: انطلقوا إلى الله عز وجل، فتوبوا إليه مما صنعتم.."[(١)].

وما حصل بينه وبين أخيه هارون دعا له ولأخيه بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

وعندما رفض بنو إسرائيل دخول الأرض المقدسة: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِي ۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ ﴾[المائدة ٢٥].

١٠ - تربيته على الثقة بالله وحسن التوكل عليه:

فقد أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام أمراً مباشرا بحسن الظن وعدم اليأس، بقوله: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ ﴾[طه٤٤] أي: "اذهبا إليه غير يائسين من هدايته، راجيين أن يتذكر ويخشى. فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار، وإن الله ليعلم ما يكون من فرعون. ولكن الأخذ بالأسباب في الدعوات وغيرها لا بد منه. والله يحاسب الناس على ما يقع منهم بعد أن يقع في عالمهم. وهو عالم بأنه سيكون".

(١) جامع البيان للطبري ٢/ ٨٦ - ٨٧ (٩٥٧)، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ١/ ٢٢٠ - ٢٢١.

فقوله: «﴿ لَّعَلَّهُۥ ﴾ قال القاضي: "أي باشرا الأمر على رجائكما وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب سعيكما. فإن الراجي، مجتهد والآيس متكلف"(١).

وتظهر ثمرة هذه التربية في موقفه: عندما اشتكى له قومه بقوله: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا ﴾ فرد عليهم بقوله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة ١٢٩].

وعندما حاصرهم فرعون من خلفهم وكان البحر من أمامهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء ٦١ - ٦٢].

وعندما طلب من قومه دخول الأرض المقدسة، ورفضوا قال لهم: ﴿ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف١٢٨].

١١ - الاعتراف بالخطأ والرجوع للحق:

ظهر أثر هذه التربية في ندمه على قتل القبطي، وطلب من الله المغفرة، قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ١٢٧.

لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: ١٥ – ١٧].

كما تجلت التربية بالاعتراف بالخطأ والرجوع للحق عندما أظهر له هارون عليه الصلاة والسلام حجته في تركه لبني إسرائيل لكي لا يتفرقوا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥٠ – ١٥١].

وجاء في آية أخرى إنه طلب من ربه عز وجل ربه أن يراه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وختاما يظهر موقف هذه التربية من خلال موقفه مع الخضر، عندما أكثر على الخضر في الإنكار على ما يفعل مع أنه أخذ العهد على نفسه بعدم السؤال، ففي الاستنكار الأول قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ [الكهف: ٧٢ – ٧٣]،

وفي الاستنكار الأول قال الله تعالى:﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾[الكهف: ٧٥ – ٧٦].

١٢ - تربيته على نخوة الرجولة والفطرة السليمة تجاه النساء والضعفاء:

ويتضح ذلك في عدد من النماذج القرآنية ومنها:

نصرته للذي من شيعته لما ظلمه القبطي، قال تعالى:﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص: ١٥].

وسقياه للفتاتين، قال تعالى:﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [القصص٢٣ – ٢٤]. وهذا "يشهد بنبل هذه النفس التي صنعت على عين الله. كما يشي بقوته التي ترهب حتى وهو في إعياء السفر الطويل. ولعلها قوة نفسه التي أوقعت في قلوب الرعاة رهبته أكثر من قوة جسمه. فإنما يتأثر الناس أكثر بقوة الأرواح والقلوب".

وذهابه لفرعون لاستنقاذ بني اسرائيل المظلومين من فرعون، وملئه، فقد أمر الله تعالى موسى وهارون بذلك في قوله:﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [طه: ٤٧].

ونفذ عليه الصلاة والسلام ما أمره الله به، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٤ – ١٠٥]، فقد قالَ مُوسى لفرعون في أدب واعتزاز إني رسول من رب العالمين، فأطلق بني إسرائيل من أسرك وأعتقهم من رقك وقهرك، ودعهم ليؤمنوا معي بربهم ويخرجوا أحرارا من تحت قهرك ليذهبوا معي إلى دار سوى دارك.

وإنكاره على الخضر خرق السفينة، قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف٧١] "يدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام إنما حمله على المبادرة بالإنكار، الالتهاب والحمية للحق فقد قال حين خرق السفينة أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها، ولم يقل «لتغرقنا» فنسي نفسه واشتغل بغيره، في الحالة التي كل أحد فيها يقول «نفسي نفسي» لا يلوي على مال ولا ولد. وتلك حالة الغرق. فسبحان من جَبَل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم"[(١)].

وكذلك إنكاره على الخضر قتل الغلام، قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف٧٤].

١٣ - التربية على الشجاعة وعدم الخوف:

حيث قال الله له في أول أمر التكليف بالنبوة والرسالة: ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل١٠].

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٥٤.

أي: "لحفظي لهم وعنايتي بهم وعصمتي إياهم مما يؤذيهم، إذ لا يتمكن من أداء الرسالة، ما لم يزل خوفه من المرسل إليه"(١).

"هذه سبيل العلماء بالله عز وجل أن يكونوا خائفين من معاصيهم وجلين، وهم أيضا لا يأمنون أن يكون قد بقي من أشراط التوبة شيء لم يأتوا به، فهم يخافون من المطالبة به"(٢).

وعندما أمره بالذهاب لفرعون قال موسى لربه ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ فقال لهما الله تعالى: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[طه٤٦]، "إذا كان الحافظ سميعا بصيرا، تمَّ الحفظ والتأييد، وذهبت المبالاة بالعدوِّ"(٣).

وعند مناظرة السحرة وقذف عصيهم وسحرهم لأعين الناس، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [طه٦٧]، فأمره الله بأن لا يخف ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾[طه٦٨].

١٤ - تربيته على القوة والأمانة:

اعتنى الله تعالى بنبيه موسى عليه الصلاة والسلام، ورزقه قوة في الجسم والأمانة لكي يقوى على تحمل المشقة والمسؤولية التي ستلقى عليه.

وظهرت ثمرة هذه التربية والرعاية في قول ابنة الرجل الصالح: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾[القصص٢٦]

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٤٨٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ٣٣٠.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ١٢٧.

أي: "وإنما قالت ذلك لأنها شاهدت من قوة موسى عند السقي لهما ونشاطه ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده بذلك وجه الله تعالى، وهذان الوصفان ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملاً، بإجارة أو غيرها؛ فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وأما اجتماعهما فإن العمل يتم ويكمل"(١).

ويتضح أن هذا القول يدل على أنه "كلام حكيم جامع لا يزاد عليه. لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك، فقد فرغ بالك وتم مرادك"(٢).

١٥ - تربيته سبحانه وتعليمه لموسى عليه الصلاة والسلام بالمواقف:

تعد التربية العملية بالمواقف من أنجح طرق التربية، ولذا حظي موسى عليه الصلاة والسلام بمجموعة من المواقف التي رباه فيها ربه على بعض المفاهيم والسلوكيات المنهجية والعملية.

ومن ذلك تربيته بالموقف عندما طلب من الله أن يراه، فبين له ربه بالتجربة أنه لا قدرة له على ذلك في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ۚ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢-١٤٣].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٦١٤.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٥١٩.

قال له الله: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ أي: "في الدنيا، ثم ضرب الله له مثالاً مما هو أقوى من بنيته وأثبت - وهو الجبل - فإن ثبت الجبل وسكن فسوف تراني وإن لم يسكن فإنك لا تطيق رؤيتي كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي»[(١)]، ثم قال: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ ﴾ أي ظهر ﴿ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ بالقصر والمد -أي: مدكوكا مستويا في الأرض ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ مغشيا عليه لهول ما رأى ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ﴾ تنزيها لك ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ من سؤالي ما لم أؤمر به ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ في زماني"[(٢)].

ومن ذلك: تربيته بالموقف في رحلته للخضر لطلب العلم، فقد نبه الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام إلى أنه ليس أعلم الناس، فأمره بالرحلة للقيا الخضر ليتعلم منه أموراً لم يكن يعلمها موسى عليه الصلاة والسلام[(٣)]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ إلى أن قال: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦٠ - ٦٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ٢٤٦.

(٢) تفسير الجلالين للسيوطي ٢١٣ بتصرف.

(٣) سيأتي بيان قصة موسى عليه الصلاة والسلام والخضر وفوائدها بالتفصيل في الفصل الثاني - المبحث الأول.

المطلب الرابع
الرعاية النفسية لموسى عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال الرعاية النفسية لموسى عليه الصلاة والسلام في أمرين:

أولا: إزالة ما في صدر موسى عليه الصلاة والسلام من الخوف:

وذلك في عدة مواقف منها:

١ - عندما قتل القبطي خطأ:

لما قتل موسى عليه الصلاة والسلام القبطي ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾[القصص: ١٥ - ١٧].

فندم على ذلك الوكز الذي كان فيه ذهاب النفس، فحمله ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه حتى غفر الله له لإزالة ما في قلبه من الخوف والرهبة من الله أولا.

وكان هذا اختبار من الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام، فعندما وقع في المشكلة "دعا الله وسأله المغفرة، فغفر له، ثم فر هاربا لما سمع أن الملأ طلبوه، يريدون قتله. فنجاه الله من الغم من عقوبة الذنب، ومن القتل، قال تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾[طه:٤٠] أي: اختبرناك، وبلوناك، فوجدناك مستقيما في أحوالك أو نقلناك في أحوالك، وأطوارك، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه"[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٥٠٥.

واستجاب الله تعالى دعوته بأن سخر له ناصحاً ينصحه بالخروج من هذا المكان لكي لا يلحقه أذى قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[القصص: ٢٠].

٢ - عند الطور:

قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾[طه: ١٧ - ٢٣].

فموسى عليه الصلاة والسلام كان فيه من الخوف ما الله به عليم فطمأنه الله وهدأ من روعه، فدار هذا النقاش، ومن فوائده أن ينسى موسى هول الموقف، والله تعالى أعلم.

٣ - عند إرساله إلى فرعون:

عندما كلف الله موسى عليه الصلاة والسلام بدعوة فرعون بقوله: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [طه٢٤]، أوجس في نفسه خيفة من فرعون، وظهر هذا الخوف كذلك في دعائه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾[طه٢٥ - ٣٥].

وظهر هذا في قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾[القصص٣٣ - ٣٤].

وهنا أراد الله أن يطمئنه فقال له: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه٣٦]، وفصل ذلك بقوله: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [القصص٣٥].

ثم عدد الله عليه بعض النعم التي أنعم بها عليه منذ ولادته حتى نجاته من فرعون عندما قتل منهم نفسا ثم اصطفائه للنبوة، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ﴾[القصص٣٧ - ٤٢].

وبعد هذا التطمين أعاد الله عليه الأمر ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [طه٢٤] وهنا قال موسى وأخيه هارون: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾[طه: ٤٥] فقال له الله تعالى يطمئنهما أشد تطمين: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[طه: ٤٦]. وقال: ﴿ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الشعراء ١٥].

٤ - عند مناظرة السحرة:

وعند مناظرة السحرة وقذف عصيهم وسحرهم لأعين الناس، خاف موسى فقال الله ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴾ [طه٦٨] "فمعك الحق ومعهم الباطل. معك العقيدة ومعهم الحرفة. معك الإيمان بصدق ما أنت عليه، ومعهم الأجر على المباراة ومغانم الحياة. أنت متصل بالقوة الكبرى، وهم يخدمون مخلوقا بشريا فانيا مهما يكن طاغية جبارا".

ثانيا: رعايته النفسية بتوفير أسباب الحياة الطيبة من زوجة ومعاش ومكان آمن:

الزوجة هي سكن لزوجها قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[الروم٢١].

والأمن في الطعام والأمن في السكن مطلب مهم، ولذا امتن الله على قريش بهذا في قوله: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾[قريش٣ - ٤].

ولذا دعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه عندما وصل إلى مدين مطارداً وسقى للجاريتين بقوله: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[القصص: ٢٤]. قال ابن عباس: "كان قد بلغ به الجوع ما بلغ، وإنه لأكرم الخلق يومئذ على الله"[(١)]، علق ابن عطية قائلًا: "وفي هذا معتبر، وحاكم بهوان الدنيا على الله تعالى!"[(٢)].

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٨٩، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٧٠، والثعالبي في الجواهر الحسان ٤/ ٢٦٨، ولم أقف عليه في كتب السنة.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ١٨٩.

فاستجاب الله دعاء نبيه وهيأ الله له رجلاً صالحاً أكرمه، فاطمأن له موسى وقص عليه قصته، فطمأنه الرجل وبشره بأن الله تعالى نجاه من القوم الظالمين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾[القصص ٢٥]. فقبل أن يتحدث معه عن الأجر أو العمل أو الزواج بين له أنه آمن وقد نجا من الظالمين، لأنه "لما كان من المعلوم أنه لا عيشة لخائف، فكان أهم ما يحتاج إليه الإنسان الأمان، فقدم له التأمين"(١).

ثم استجاب الله دعاء نبيه؛ ورزقه الزوجة الصالحة، والعمل الذي يتكسب منه، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾[القصص: ٢٦ – ٢٨]. و"العبد إذا فعل العمل لله تعالى، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، أنه لا يلام على ذلك، كما قبل موسى مجازاة صاحب مدين عن معروفه الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه على عوض"(٢).

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٤٧٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٦١٩.

المطلب الخامس

الرعاية الدعوية لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام

ويظهر ذلك في مواقف، منها:

أولا: رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام بإرسال أخيه هارون معينا له في الدعوة:

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾[مريم ٥٣]. وقال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾[القصص٣٤ - ٣٥].

"فموسى عليه الصلاة والسلام طلب من ربه أن يساعده بأخيه هارون لأنه كما قال تعالى في بيان سبب ذلك الطلب: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ومعنى ردءاً أي: وزيراً ومعيناً ومقوِّياً لأمري يصدقني فيما أقوله، ويبين عني ما أكلمهم به فإنه أفصح مني لساناً، ويفهم عني مالا يفهمون، فالداعي المسلم لا يتردد أبداً في الاستعانة بكفاءة غيره من المسلمين وقدرته في مجال الدعوة، وسيكون مسروراً جداً إذا ما وجد مسلماً ذا قدرة وكفاءة وأمانة في أمور الدعوة مع رغبته في الإسهام في هذا المجال، وإذا ما أحس الداعي بضيق في صدره من عمل المسلم الكفء في الدعوة إلى الله، فإن إخلاصه لا بد أن يكون مشوباً بحب السمعة والرياء فليسارع إلى تنقية إخلاصه، وفسح المجال للكفء الأَمين بالإسهام في جهاد الدعوة إلى الله تعالى"[(١)].

(١) أصول الدعوة الدكتور عبد الكريم زيدان ٢/ ١٤.

فالأخوة رحمة من رحمات الله "والاستعانة إذا كانت بأولي القربى من أهل النسب، أو التربية، أو الصحبة القديمة كانت أكمل؛ لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقه، فتتم المشاكلة في الاستعانة"[(١)].

ثانياً: توجيهه موسى وأخيه إلى الأمر بتوحيد الله والتعريف بالله سبحانه:

ويظهر هذا التوجيه وهذه التربية بالربط بربوبية المرسل، ووحدانية الإله الحق في قوله: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾[طه٤٧]. وقوله: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء ١٦] "فهي المواجهة القوية الصريحة بحقيقة التوحيد منذ اللحظة الأولى، بلا تدرج فيها ولا حذر. فهي حقيقة واحدة لا تحتمل التدرج والمداراة".

وظهر أثر هذا التوجيه من خلال دعوته لفرعون، حيث دعا موسى عليه الصلاة والسلام فرعون للإيمان بالله وحده، وعرفه أسمائه وصفاته سبحانه، ومن هذا قوله لفرعون: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾[الإسراء ١٠٢]. وقوله: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه ٥٠]، وقوله: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه ٩٨]. وقوله: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشعراء ٢٤ – ٢٨].

(١) مقدمة ابن خلدون ص٣١٩

ومن ذلك قوله للسحرة الذين يريدون أن يخدعوا الناس ويبعدوهم عن التوحيد: ﴿وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾[طه ٦١].

ويظهر كذلك في موقفه من قومه عندما عبدوا العجل من دون الله، قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ [طه ٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأعراف: ١٥٠].

وكذلك موقفه مع من صنع العجل، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسٗۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ٩٧ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [طه ٩٥ – ٩٨].

وكذلك عندما طلب منه قومه أن يتخذ لهم إلها، قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾[الأعراف: ١٣٨].

وكل هذه النماذج وغيرها تبين لنا أثر تربية الله له على التوحيد والدعوة إليه، ومدى وعي موسى لهذه القضية وشغله بها.

ثالثا: توجيهه لموسى وأخيه هارون للين في الدعوة:

لما أرسل الله موسى عليه الصلاة والسلام إلى فرعون، وجهه أن يدعوه باللين، فإن الملوك الظالمين أمثال فرعون لا يقبلون إلا لين الكلام معهم، قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[طه ٤٢ - ٤٤]. "أمرهما بما ينبغي لكل آمر بالمعروف من الأخذ بالأحسن فالأحسن والأسهل فالأسهل"(١)، "لما كان اللين سببا للتذكرة والخشية أمر بها لتقوم عليه الحجة فهذا الرجاء المتعلق بكلامه.. فالكلام المنفر لا يتوقع منه إجابة ولا إنابة والكلام اللين المرغب يتوقع من كل من سمعه الإجابة الإنابة"(٢).

"والمقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى. فإذا لم ينفع اللين مع المدعوّ وأعرض واستكبر جاز في موعظته الإغلاظ معه"(٣).

رابعا: توجيهه لموسى وأخيه للدعوة بالقدوة الحسنة:

من أعظم وأنفع وسائل الدعوة وأساليبها القدوة الحسنة، ولذا وجه الله نبيه موسى وأخيه هارون عليهما السلام لهذا الأسلوب بقوله: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّـَٔا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٧﴾[يونس٨٧].

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٢٠.

(٢) بدائع التفسير لابن القيم ٣/ ١٥٥.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦/ ٢٢٥.

فالتعبير بلفظ ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً﴾ فيه إشارة إلى أن تكون بيوتهم محل أنظار المؤمنين يتبعونهم في كل شيء، وذلك لأن استعلاء فرعون على قوم موسى كان من القوة بمكان، فجلوس موسى عليه الصلاة والسلام مع قومه وتعليمهم وإقامة العبادة جماعة معهم قد يكون متعذراً، كما يدل عليه سياق الآيات، ولكن الدعوة والتعليم والتوجيه وإقامة الشعائر لا تقف عند تلك المشكلة، بل التعليم والتوجيه بالقدوة هو المرحلة المتبعة إلى أن يقضي الله الأمر.

فهذا الجانب من الرعاية تأهيلٌ دعوي، حيث إنَّ الله تعالى بصرهما بأسلوب الدعوة، ليكونا على بصيرة ولا يقعا في محظور في طريقة الدعوة، وكذلك يلقي عليهما الأمن بأنه حافظ لهما ومؤيد.

خامسا: تأهيله لموسى عليه الصلاة والسلام على المناظرة وحسن الحوار:

ويظهر أثر ذلك التأهيل في مناظرة موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون، حيث إنه لما ذهب موسى عليه الصلاة والسلام إلى فرعون لدعوته، ناظره بالحجة والعقل، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ٣٠﴾ [الشعراء ٢٣ - ٣٠].

وحسن حوار موسى من خلال هذه الآيات يظهر في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤﴾ «كان جواب موسى - عليه الصلاة والسلام - يحمل استصغار ما يدعيه فرعون مع بطلانه، وتوجيه نظره إلى هذا الكون الهائل، والتفكير فيمن يكون ربه.. فهو رب العالمين.

وفي قوله: ﴿قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ "وهذه أشد مساسا بفرعون ودعواه وأوضاعه، فالوراثة التي تقوم عليها ألوهية فرعون دعوى باطلة»، «فبطل كون أحد منهم رباً لمن بعده كما بطل كون أحد ممن قبلهم من الهالكين ربّاً لهم"[١].

"فلما رأى منهم المكابرة ووصفوه بالجنون خاشنهم في القول"[٢]، بقوله: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ "أي لا تعقلون شيئا ما، أو إن كنتم من أهل العقل علمتم أن الأمر كما قلته. وفيه إيذان بغاية وضوح الأمر، بحيث لا يشتبه على من له عقل في الجملة، وتلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل"[٣]. "فهذا التوجيه يهز القلوب البليدة هزا، ويوقظ العقول الغافية إيقاظا. وموسى - عليه الصلاة والسلام - يثير مشاعرهم، ويدعوهم إلى التدبر والتفكير".

ولما قال فرعون: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ يريد بذلك أن ينهي الحوار معه بالتهديد الغليظ بالبطش الصريح، وهذا هو دليل العجز، وعلامة الشعور بضعف الباطل أمام

(١) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٣٥٦.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩/ ١٢١.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٤٥٢.

الحق الدافع. أمام هذا التهديد يقول قال موسىَ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ "وفي هذا إحراج لفرعون لو رفض الإصغاء إلى برهانه المبين لدل على خوفه من حجته، وهو يدعي أنه مجنون.."[١].

فلم ينفعل موسى أثناء الحوار عندما اتهم بالجنون أو عند تهديده بالسن بل "رد موسى مدافعاً بالتي هي أحسن إرخاء للعنان، لإرادة البيان، حتى لا يبقى عذر لإنسان، رجاء النزوع عن الطغيان"[٢].

سادسا: توجيهه موسى وأخيه لأسلوب الترغيب والترهيب:

قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[طه: ٤٧ – ٤٨].

فهنا توجيه من الله مباشر لموسى وهارون بأن يجمعا بين الترغيب والترهيب في دعوة فرعون، فكان الترغيب في قوله: قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أما الترهيب فكان في قوله: قال تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

ولما اجتمع السحرة للموعد، هم وموسى، وأهل مصر، وعظهم موسى وذكرهم قبل المناظرة وقال: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾[طه: ٦١]، فتنازعوا وتخاصموا ثم شجعهم فرعون، وشجع بعضهم بعضا، قال تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ [طه: ٦٢].

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٢٥٩٣.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٣٥٧.

المبحث الرابع
رعاية الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ولأمه

إن قصة عيسى عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم شملت أموراً كثيرة، ولذا سنحاول توجيه الفكر حول ما يتعلق بجانب الرعاية.

فتتمثل رعاية الله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام في المطالب التالية:

المطلب الأول
الرعاية التربوية لعيسى عليه الصلاة والسلام

لقد نشأ عيسى عليه الصلاة والسلام على الأخلاق الفاضلة فزكاه ربه قبل الحمل به قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾[مريم: ١٩]. "فذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن ذلك الروح - الذي هو جبريل - قال لها إنه رسول ربها ليهب لها؛ أي: ليعطيها. ﴿غُلَٰمًا﴾ أي: ولداً، ﴿زَكِيًّا﴾ أي: طاهراً من الذنوب والمعاصي، كثير البركات. وبَيَّنَ في غير هذا الموضع كثيراً من صفات هذا الغلام الموهوب لها، وهو عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام"[(١)].

ومن تلك الصفات التي رباه الله عليها وزكّاه بها:

١ - تربيته على العبودية لله تعالى:

فقد أقرَّ عيسى عليه الصلاة والسلام وهو طفل رضيع أنه عبدٌ لله، وأن الله أوصاه بالصلاة والزكاة قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ

(١) أضواء البيان ٣/ ٣٨٦.

﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَىٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾[مريم٣٠ - ٣١].

"أقر عيسى على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم؛ لئلا يتخذ إلهاً"(١)، فأنا عبد لله "الملك الأعظم الذي له صفات الكمال لا أتعبد لغيره، إشارة إلى الاعتقاد الصحيح فيه، وأنه لا يستعبده شيطان ولا هوى"(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡصَىٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾[مريم ٣١]. أي: "وأوصاني ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾لله طهرة للنفس ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ طهره للمال فعلاً في نفسي وأمراً لغيري"(٣).

٢ - تربيته على بره بأمه:

قال تعالى: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾[مريم ٣٢].

"وقد خصه الله تعالى بذلك بين قومه، لأن برّ الوالدين كان ضعيفاً في بني إسرائيل يومئذ، وبخاصة الوالدة لأنها تستضعف، لأن فرط حنانها ومشقتها قد يجرئان الولد على التساهل في البرّ بها"(٤).

فلم يكن "بفظ ولا غليظ، ولا يصدر منه قول ولا فعل ينافي أمر الله وطاعته"(٥).

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ٢٣٠.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٤/ ٥٣١.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٣٥١.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦/ ١٠٠.

(٥) قصص الأنبياء، لابن كثير ص ٦١٦.

٣ - التربية على التواضع وعدم التكبر على خلق الله:

قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم ٣٢]. "أي: ولم يجعلني مستكبرًا على الله فيما أمرني به، ونهاني عنه، ولكن ذللني لطاعته، وجعلني متواضعا"(١).

قال السعدي: "جعلني مطيعا له خاضعا خاشعا متذللا متواضعا لعباد الله"(٢).

٤ - التربية على الدعاء والالتجاء لله تعالى والأدب في ذلك:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٠-١١٤]. "فذكر الدعاء والثناء معا - ولم يجيء في القرآن سواه، ولا رأيت أحدا تعرض لهذا ولا نبه عليه - سر عجيب دال على كمال معرفة المسيح بربه وتعظيمه له"(٣). فقد "ناداه مرتين بوصف الألوهية والربوبية، إظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء"(٤).

وقال تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ

---

(١) جامع البيان للطبري ١٨/ ١٩٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٤٩٢.

(٣) بدائع التفسير ٢/ ١٣١.

(٤) محاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٢٩٣.

﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: ٣٣]. يقول القاسمي: "أعظم أحوال الإنسان احتياجا إلى السلامة هي هذه الأحوال الثلاثة: وهي يوم الولادة، ويوم الموت، ويوم البعث. فجميع الأحوال التي يحتاج فيها إلى السلامة واجتماع السعادة من قبله تعالى، طلبها ليكون مصونا عن الآفات والمخافات في كل الأحوال"[1].

٥ - التربية على حسن التخاطب مع الله:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٦ – ١١٨].

قال ابن القيم رحمه الله: "لم يقل: لم أقله، بل قال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ وفرق بين الجوابين في حقيقة الأدب. ثم أحال الأمر على علمه سبحانه بالحال وسره.

وفي ختم الآية بقوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ إن غفرت لهم فمغفرتك تكون عن كمال القدرة والعلم. ليست عن عجز عن الانتقام منهم، ولا عن خفاء عليك بمقدار جرائمهم، وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى. فإنه قاله في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ص٦١٦.

إلى النار. فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة. بل مقام براءة منهم. فقربة العبودية تستدعي إحسان السيد إلى عبده ورحمته، أي شأن السيد رحمة عبيده والإحسان إليهم. وهؤلاء عبيدك ليسوا عبيدا لغيرك.

وشأن السَّيِّد المحسن المُنعم أَن يتعطف على عَبده ويرحمه ويحنو عَلَيْهِ فَإِن عذبت هَؤُلَاءِ وهم عبيدك لَا تُعَذبهُمْ إِلَّا باستحقاقهم وإجرامهم وَألا فَكيف يشقى العَبْد بسيده وَهُوَ مُطِيع لَهُ مُتبع لمرضاته"[١].

وفي صفتي العزة والحكمة "تنبيها على أنه لا امتناع لأحد عن عزته، فلا اعتراض في حكمه وحكمته"[٢].

٦ - التربية على نسبة الفضل لله:

قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

"حرص القرآن على أن يذكر على لسان المسيح – عليه الصلاة والسلام – كما هو مقدر في غيب الله عند البشارة لمريم، وكما تحقق بعد ذلك على لسان عيسى – أن كل خارقة من هذه الخوارق التي جاءهم بها، إنما جاءهم بها من عند الله. وذكر إذن الله بعد كل واحدة منها تفصيلاً وتحديداً ولم يَدَع القول يتم ليذكر في نهايته إذن الله زيادة في الاحتياط!".

(١) بدائع التفسير ٢/ ١٣٢ – ١٣٣ باختصار وتصرف يسير.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٣٠٣.

٧ - تربيته على الجدية والإيجابية من خلال تربيته لأمه:

وذلك باتخاذ الأسباب لحصول المراد مهما كان شاقاً، وعدم التواكل، وذلك قول الله تعالى لأمه عند ولادته: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم ٢٥]. فجذع النخلة قاسٍ، وهزّه صعبٌ، وهي في حالة تعب الولادة، ولكن يأمرها الله بذلك لكي ينسيها الألم الذي أصابها، ولكي تتعلم فعل الأسباب، وفي هذا تربية لها، وتربية لابنها بالتبع على اتخاذ الأسباب.

٨ - تربيته على شدة تعظيم الله سبحانه:

ويظهر أثر هذه التربية في موقف دعاه أن يُصدِّق الحالف ويُكذِّب عينه، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**رأى عيسى ابن مريم رجلا يسرق، فقال له أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو. فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني**))[(١)].

قال ابن القيم: "تأوله بعضهم على أنه لما حلف له جوز أن يكون قد أخذ من ماله، فظنه المسيح سرقة، وهذا تكلف، وإنما كان الله سبحانه وتعالى في قلب المسيح - عليه الصلاة والسلام - أجل وأعظم من أن يحلف به أحد كاذبا، فلما حلف له السارق دار الأمر بين تهمته، وتهمة بصره، فرد التهمة إلى بصره لما اجتهد له في اليمين، كما ظن آدم - عليه الصلاة والسلام - صدق إبليس لما حلف له بالله عز وجل وقال: ما ظننت أحداً يحلف بالله تعالى كاذباً"[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} [مريم: ١٦] (٣٤٤٤).

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ١٨٣. وانظر فتح الباري لابن حجر ٦/ ٤٨٩.

المطلب الثاني

الرعاية العلمية لعيسى عليه الصلاة والسلام

قال تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾[آل عمران ٤٨]. فكان تعليم الله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام الكتاب، والحكمة، والتوراة، والإنجيل آية من الآيات العظيمة.

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها عيسى، عليه الصلاة والسلام - أن الله يعلمه ﴿ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ الظاهر أن المراد بالكتاب هاهنا الكتابة.

﴿ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ فالتوراة: هو الكتاب الذي أنزله الله على موسى بن عمران. والإنجيل: الذي أنزله الله على عيسى عليهما السلام، وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام، يحفظ هذا وهذا"[(١)].

وامتن الله عليه بذلك فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [المائدة: ١١٠]. **والكتاب**: هنا مصدر، أي: يعلمه الخط باليد. وتعليمه إياها قيل: بالإلهام. وقيل: بالوحي. وقيل: بالتوفيق والهداية للتعلم.

والحكمة: فسرت هنا: بسنن الأنبياء، وبما شرعه من الدين، وبالنبوة، وبالصواب في القول والعمل وبالعقل، وبأنواع العلم. وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يستظهر التوراة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٤.

وذِكْرُ الإنجيل لمريم؛ وهو لم ينزل بعد – لأنه كان كتاباً مذكوراً عند الأنبياء والعلماء، وأنه سينزل[١].

وعندما دعا قومه ذكر نعمة الله عليه ومنها تعاليم الله له الكتاب والحكمة، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[الزخرف: ٦٣].

المطلب الثالث
الرعاية النفسية وحفظ الله لعيسى عليه الصلاة والسلام

يمكن بيان رعاية الله تعالى النفسية لعيسى عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - رفع الله لقدر عيسى عليه الصلاة والسلام:

إذا تأملنا قوله الله تعالى:﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[آل عمران: ٤٥] وجدنا أن الله تعالى رفع قدر عيسى عليه الصلاة والسلام من جانبين: **الأول**: جعله الله صاحب وجاهة كما في قوله تعالى:﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: "ذا وَجْهٍ ومنزلة عالية عند الله، وشرفٍ وكرامة"[٢].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٤٣٨، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٣٥١ – ٣٥٢ بتصرف.

(٢) جامع البيان للطبري ٦/ ٤١٥.

فعيسى عليه الصلاة والسلام "له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وينزل عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منحه به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه، أسوة بإخوانه من أولي العزم، صلوات الله عليهم"(١).

ومن وجاهته: "جعله الله أحد أولي العزم من المرسلين أصحاب الشرائع الكبار والأتباع، ونشر الله له من الذكر ما ملأ ما بين المشرق والمغرب هذا في الدنيا، وفي الآخرة وجيها عند الله يشفع أسوة بإخوانه من النبيين والمرسلين، ويظهر فضله على أكثر العالمين"(٢).

الثاني: تقريب الله لعيسى عليه الصلاة والسلام: كما في قوله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: "أنه ممن يقرِّبه الله يوم القيامة، فيسكنه في جواره ويدنيه منه"(٣)، فهو عليه الصلاة والسلام عند الله "من المقربين، الذين هم أقرب الخلائق إلى الله، وأعلاهم درجة، وهذه بشارة لا يشبهها شيء من البشارات"(٤).

٢ - الثناء بصلاح عيسى عليه الصلاة والسلام:

قال الله تعالى:﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[آل عمران: ٤٦] أي: "من عِدَادهم وأوليائهم، لأنّ أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل"(٥).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ١٣٠.

(٣) جامع البيان للطبري ٦/ ٤١٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٩٦٧.

(٥) جامع البيان للطبري ٦/ ٤٢٠.

قال ابن سعدي: "أي: يمن عليه بالصلاح، من منَّ عليهم، ويدخله في جملتهم، وفي هذا عدة بشارات لمريم مع ما تضمن من التنويه بذكر المسيح عليه الصلاة والسلام"(١).

فهو عليه الصلاة والسلام من الصالحين "فِي قَوْلِهِ وَعَملِهِ، لَهُ عِلْم صَحيحٌ وَعَمَلٌ صَالِح"(٢).

٣ - تذكر الله تعالى لعيسى بنعمه تطمأنة له:

فقد طمأن الله نفس عيسى عليه الصلاة والسلام بما يجعله هادئ النفس قوي الحجة، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ [المائدة: ١١٧].

أي: "اذكرها بقلبك ولسانك، وقم بواجبها شكرا لربك، حيث أنعم عليك نعما ما أنعم بها على غيرك، فهذه المِنَنُ - المذكورة - امتَنَّ الله بها على عبده ورسوله عيسى ابن مريم ودعاه إلى شكرها والقيام بها فقام بها عليه الصلاة والسلام أتم القيام وصبر كما صبر إخوانه من أولي العزم"(٣).

٤ - حفظ الله لعيسى عليه الصلاة والسلام:

ويتمثل هذا في منع بني إسرائيل من الإمساك به وقتله ثم رفعه إلى السماء، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص١٣١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٣٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٢٣٨،

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: ٥٥].

"فأخبر تعالى أنه رفعه إلى السماء بعد ما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به، وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان"(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾[المائدة: ١١٠]. أي: "أي واذكر نعمتي عليك في كفى إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم، فكذبوك واتهموك بأنك ساحر، وسعوا في قتلك وصلبك، فنجيتك منهم، ورفعتك إليَّ، وطهرتك من دنسهم، وكفيتك من شرهم"(٢).

عَنْ مُجَاهِدٍ قال: "صلبوا رجلا شبَّهوه بعيسى، يحسبونه إياه، ورفع الله إليه عيسى حيًّا"(٣)، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾[النساء: ١٥٧ – ١٥٨]

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ٢/ ٤٤٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٢٢٤).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٤٥٢).

المطلب الرابع
الرعاية الدعوية لعيسى عليه الصلاة والسلام

تتمثل الرعاية الدعوية من الله لعيسى عليه الصلاة والسلام في جوانب كثيرة، ومنها:

١ - تعليمه البدء بالدعوة لتوحيد الله عز وجل:

ويظهر هذا في بدء عيسى عليه الصلاة والسلام بعقيدة التوحيد، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[المائدة: ٧٢]

٢ - تيسير الله له تعليم الناس الخير:

وذلك في قول الله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾[مريم ٣١]. "أي معلما للخير، داعيا إلى الله، مذكرا به، مرغبا في طاعته، فهذا من بركة العبد، ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة، ومحقت بركة لقائه والاجتماع به، بل تمحق بركة من لقيه واجتمع به"(١).

"تَعْلِيم الرجل الْخَيْر هُوَ الْبركَة الَّتِي جعلهَا الله فِيهِ فَإِن الْبركَة حُصُول الْخَيْر ونماؤه ودوامه وَهَذَا فِي الْحَقِيقَة لَيْسَ إِلَّا فِي الْعلم الْمَوْرُوث عَن الانبياء وتعليمه وَلِهَذَا سمى سُبْحَانَهُ كِتَابه مُبَارَكًا"(٢).

---

(١) رسالة ابن القيم لأحد إخوانه ص٥.

(٢) بدائع التفسير لابن القيم ٣/ ١٧٣.

٣ - أيده الله تعالى بالمعجزات:

فقد أيد الله عيسى بالمعجزات ابتداءً من ولادته من أم بلا أب، قال تعالى:﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ١٦_٢١].

ثم كلامه وهو في المهد، ليثبت براءة أمه مما اتهموها بها من البهتان، ولإخبارهم أنه نبيٌ من عند الله. قال تعالى:﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤﴾ [مريم: ٢٩_٣٤].

جعل الله له معجزات أخرى ذكرها الله في كتابه فقال تعالى:﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٤٩﴾ [آل عمران: ٤٩].

وأكرمه بنزول مائدة من السماء عليه وعلى قومه بناءً على طلبهم،

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥].

٤ - تأييده بروح القدس (جبريل عليه الصلاة والسلام):

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] "وتخصيصه من بين الرسل عليهم الصلاة والسلام بالذكر ووصفه بما ذكر من إيتاء البينات، والتأييد بروح القدس لحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه الصلاة والسلام، ببيان حقيته، وإظهار نهاية قبح ما فعلوا به عليه الصلاة والسلام"[(١)].

المطلب الخامس

رعاية الله تعالى لوالدته مريم رضي الله عنها

فمن رعاية الله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام وتأهيله للرسالة والدعوة رعاية الله لوالدته وهي بيت نشأته، إذ كيف سيؤثر في الناس إذا لم يُربى التربية الصحيحة التي يعطي بها كل إنسان حقه، وكيف سيقبل منه الناس إذا اشتهرت أسرته بما يشين ويعاب عليه. لكن الله بحكمته وبعدله ورعايته، كفل هذه الأمور لنبيه عيسى عليه الصلاة والسلام، ليُعِدَّهُ لأن يكون نبياً مؤثراً مقبولاً بين الناس.

وتبرز هذه العناية في رعاية الله تعالى لوالدته رضي الله عنها في أمور:

(١) محاسن التأويل للقاسمي ١/ ٣٤٨.

١ - عراقة نسب مريم:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[آل عمران ٣٣ - ٣٤].

"اصطفى الله آل عمران، فهذه البيوت التي ذكرها الله هي صفوته من العالمين، وتسلسل الصلاح والتوفيق بذرياتهم، فلهذا قال تعالى ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ أي: حصل التناسب والتشابه بينهم في الخلق والأخلاق الجميلة، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ دل هذا على أن هؤلاء اختارهم لما علم من أحوالهم الموجبة لذلك فضلا منه وكرما"[(١)].

٢ - دعاء امرأة عمران لمريم وقبول الله لها:

قال تعالى: ﴿ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾[آل عمران ٣٦ - ٣٧]. دعت لها ولذريتها أن يعيذهم الله من الشيطان الرجيم "وهذه كلمة القلب الخالص، ورغبة القلب الخالص. فما تود لوليدتها أمراً خيراً من أن تكون في حياطة الله من الشيطان الرجيم!

وقبل الله تعالى من أم مريم نذرها، قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ وذلك جزاء هذا الإخلاص الذي يعمر قلب الأم، وهذا التجرد الكامل في النذر.. وإعداداً لها أن تستقبل نفخة الروح، وكلمة الله، وأن تلد عيسى - عليه الصلاة والسلام - على غير مثال من ولادة البشر".

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص١٢٨ باختصار.

٣ - اصطفاء الله تعالى لمريم:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران٤٢] أي: "اختارك واجتباك لطاعته وما خصّك به من كرامته"(١).

"والاصطفاء الأول يرجع إلى الصفات الحميدة والأفعال السديدة، والاصطفاء الثاني يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين، إما على عالمي زمانها، أو مطلقا، وإن شاركها أفراد من النساء في ذلك كخديجة وعائشة وفاطمة، لم يناف الاصطفاء المذكور"(٢).

٤ - تكليف الله تعالى من يكفل مريم:

ومن رعاية الله تعالى لمريم أن جعل نبيه زكريا عليه الصلاة والسلام كفيلا لها ليتم الاعداد ويتحقق الاصطفاء، قال تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ [آل عمران٣٧] أي: "جعله الله كافلا لها وضامنا لمصالحها، وقائما بتدبير أمورها"(٣)، واختيار زكريا عليه الصلاة والسلام كفيلا لها من بين من اقترعوا لذلك "من رفقه بها ليربيها على أكمل الأحوال، فنشأت في عبادة ربها"(٤).

---

(١) جامع البيان للطبري ٦/ ٣٦٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص١٣٠.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٢/ ٢١٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص١٢٨.

٥ - صلاح مريم وكثرة عبادتها:

وهذا يتضح في قوله تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[آل عمران٣٧] أي: "فنبتت في الصلاح والسداد والعفة والطاعة»[١]، لقد: «ربيت تربية عجيبة؛ دينية، أخلاقية، أدبية، كملت بها أحوالها، وصلحت بها أقوالها وأفعالها، ونما فيها كمالها"[٢]. "فنشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة. فكانت إحدى الناسكات المتبتلات"[٣]. وقيل: "أي: نبتت نباتا حسنا في بدنها وخلقها وأخلاقها، لأن الله تعالى قيض لها زكريا عليه الصلاة والسلام"[٤].

وهذه العبادة وهذا التنسك كان أمرا من الله لها، شكرا له على نعمة الاصطفاء، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[آل عمران٤٢ - ٤٣] "أي اعبديه شكرا على اصطفائه"[٥].

"وصوَّها بالمحافظة على الصلاة، بعد أن أخبروها بعلو درجتها وكمال قربها إلى الله تعالى، لئلا تفتر ولا تغفل عن العبادة"[٦].

---

(١) مفاتيح الغيب ٨/ ٢٠٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٩٦٦.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٩٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص١٢٨.

(٥) محاسن التأويل للقاسمي ٢/ ٣١٦.

(٦) روح المعاني ٣/ ١٥٦.

"فنشأت في عبادة ربها وفاقت النساء، وانقطعت لعبادة ربها، ولزمت محرابها"[١]، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران٣٧]، حتى عندما نزل عليها الملك ليخبرها باصطفاء الله لها لتكون أما لعيسى عليه الصلاة والسلام كانت في محرابها، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم١٦ - ١٧].

كانت على هذه الحال حتى وصلت لمرتبة القانتين، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم١٢]. "أي: المطيعين لله، المداومين على طاعته، بخشية وخشوع، وهذا وصف لها بكمال العمل، فإنها ﵂ صديقة، والصديقية: هي كمال العلم والعمل"[٢].

٦ - رزق الله تعالى لمريم:

وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران٣٧]، أي: ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ من غير كسب ولا تعب، بل رزق ساقه الله إليها، وكرامة أكرمها الله بها، فقال لها زكريا ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فضلا وإحسانا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: "من غير حسبان من العبد ولا كسب»[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص١٢٨.

(٢) المصدر السابق ص٨٧٤.

(٣) المصدر السابق ص١٢٨.

وكذلك عندما جاءت مريم لحظة الولادة، فقد ثبتها ورزقها قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي﴾[مريم ٢٥ - ٢٦]. "إن مريم عليها السلام كان يتعرف إليها في بدايتها بخرق العوائد بغير سبب تقوية لإيمانها وتكميلا ليقينها، فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا. فلما قوي إيمانها ويقينها ردت إلى السبب لعدم وقوفها معه، فقيل لها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾"[(١)].

فقد "أمر الله مريم - المرأة الضعيفة النفساء - بهزِّ جذع النخلة التي تثقل الرجال، والله قادر أن يكرمها برزق - كما في سورة آل عمران -؛ ليعلم الناس أهمية بذل السبب"[(٢)].

٧ - تثبيت الله لمريم:

قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾[مريم ٢٢ - ٢٦].

"سكن الملك روعها وثبت جأشها وناداها من تحتها، لعله في مكان أنزل من مكانها، وقال لها: لا تحزني، أي: لا تجزعي ولا

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٢/ ٣١٣.

(٢) أضواء البيان ص٨٧٤.

تهتمي.. وكُلِي وَاشْرَبِي ﴿وَقَرِّى عَيْنًا﴾ بعيسى، فهذا طمأنينتها من جهة السلامة من ألم الولادة، وحصول المأكل والمشرب الهني.

وأما من جهة قالة الناس، فأمرها أنها إذا رأت أحدا من البشر، أن تقول على وجه الإشارة: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي: سكوتا ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ أي: لا تخاطبيهم بكلام، لتستريحي من قولهم وكلامهم. وكان معروفا عندهم أن السكوت من العبادات المشروعة، وإنما لم تؤمر بخطابهم في نفي ذلك عن نفسها لأن الناس لا يصدقونها، ولا فيه فائدة، وليكون تبرئتها بكلام عيسى في المهد، أعظم شاهد على براءتها، فإن إتيان المرأة بولد من دون زوج، ودعواها أنه من غير أحد، من أكبر الدعاوى، التي لو أقيم عدة من الشهود، لم تصدق بذلك، فجعلت بينة هذا الخارق للعادة، أمرا من جنسه، وهو كلام عيسى في حال صغره جدا"[1].

٨ - تقرير الله تعالى لعفة مريم:

وهذا من الأمور المهمة جدا في رعاية الله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام ووالدته، وتم هذا التقرير بعدد من الصور، منها:

- ثناء الله تعالى عليها بعفتها، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[التحريم١٢].
- بيان أن الله تعالى طهرها، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾[آل عمران٤٢].
- عرض حالة فزعها عندما دخل عليها رجل في خلوتها لا

(١) المصدر السابق.

تعرفه، واستعاذتها بالله منه، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾[مريم١٧ - ١٨] "فها هي ذي تنتفض انتفاضة العذراء المذعورة يفجؤها رجل في خلوتها، فتلجأ إلى الله تستعيذ به وتستنجد وتستثير مشاعر التقوى في نفس الرجل، والخوف من الله والتحرج من رقابته في هذا المكان الخالي، فالتقيّ ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن، ويرجع عن دفعة الشهوة ونزغ الشيطان"

- استنكارها أن يكون لها ولد ولم يمسسها بشر، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾[آل عمران٤٧]، وكذا في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾[مريم٢٠].

- تبرأة الله لمريم من خلال معجزة كلام عيسى في المهد، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[مريم ٢٢ - ٣٤].

الفصل الثاني
نماذج من رعاية الله
لبقية الرسل عليهم الصلاة والسلام

المبحث الأول: رعاية الله لآدم عليه الصلاة والسلام وذريته.

المبحث الثاني: رعاية الله لإسماعيل عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: رعاية الله ليوسف عليه الصلاة والسلام.

المبحث الرابع: رعاية الله لداود عليه الصلاة والسلام.

المبحث الخامس: رعاية الله لسليمان عليه الصلاة والسلام.

المبحث السادس: رعاية الله لأيوب عليه الصلاة والسلام.

المبحث السابع: رعاية الله لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام.

المبحث الأول
رعاية الله لآدم عليه الصلاة والسلام

تبرز رعاية الله سبحانه وتعالى لآدم عليه الصلاة والسلام وذريته من خلال ما ذكره الله تعالى في القرآن عبر عدد من المواقف، نعرضها من خلال مطلبين:

المطلب الأول
الرعاية التربوية لآدم عليه الصلاة والسلام

١ - تربيته على التواضع:

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. "وإنما خلق الله آدم من تراب لأسباب منها: أن يكون متواضعا وليكون أشد التصاقا بالأرض ليكون مطفئاً لنار الشهوة، والغضب، والحرص، فإن هذه النيران لا تطفأ إلا بالتراب"(١).

٢ - تكريم الله لآدم عليه الصلاة والسلام بسجود الملائكة له:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة ٣٤]. وهذه من الرعاية النفسية التي كَرَّم الله تعالى بها آدم عليه الصلاة والسلام، لأنه تميز عن الملائكة بالعلم فيما جعله الله له من الفضل والتشريف كما في الآية.

---

(١) ما ذكره الدكتور عقيل حسين عقيل في كتابه آدم من وحي القرآن ١/ ٢٥.

"إنه التكريم في أعلى صوره، حيث وهبه من الأسرار ما يرفعه على الملائكة. لقد وهب سر المعرفة، كما وهب سر الإرادة المستقلة التي تختار الطريق.. وقدرته على تحكيم إرادته، واضطلاعه بأمانة الهداية إلى الله بمحاولته الخاصة..".

٣ - تحذير الله لآدم من إبليس وحسده:

قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[طه ١١٧]. فمن رعاية الله تعالى لآدم أن حذره وذريته من إبليس ومن حسده، قال ابن جرير: "فلا تطيعاه فيما يؤمركما به، فيخرجكما بمعصيتكما ربكما، وطاعتكما له، فيكون عيشك من كدّ يدك، فذلك شقاؤه الذي حذّره ربه"[(١)].

وهذا التحذير يشير كذلك لأن يحذر آدم وذريته من العوائق التي سيضعها الشيطان لكي يوقف عملية الاستخلاف في الأرض، والتي بطبيعة الحال تحتاج إلى العِلم، فكما أن التعليم مهم فكذلك التحذير من عوائق طلبه مهم أيضاً.

٤ - ترغيب آدم في الجنة ونعيمها:

قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [طه: ١١٧-١١٩].

فقد نبه الله تعالى آدم على فضائل الجنة التي لا ينالها في غيرها من أمر الحياة الدنيا، بل يناله عكسها ففيها – أي أرض الدنيا – الجوع والعري والظمأ والتعب والنصب... الخ.

(١) جامع البيان للطبري ١٨/ ٣٨٥.

٥ - اختبار آدم وتعليمه أسباب الثبات:

ومن رعاية الله تعالى لآدم عليه الصلاة والسلام اختباره هل سيطيع ربه أم سيعصيه ويتبع إغواء الشيطان، وذلك بعد أن علَّمه خطر هذا الشيطان وبين له ما سيصيبه لو أنه عصى أمره سبحانه فقال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[البقرة ٣٤ - ٣٦]، فكان هذا الاختبار رحمة له ولذريته، إذ بقي تمييزاً للصادق من الدَّعِي، وقد بان بهذا الاختبار المطيع والعاصي، وأسباب الطاعة والمعصية، وبه اتضحت مداخل العدو المتربص أعاذنا الله من شرِّه ووسوسته، ومن شَرِّ أتباعه.

٦ - تربيته على احترامه للقسم:

وهذا يتضح عند قسم الشيطان لهما فانقادا لباطله - الله المستعان - كما في قوله: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف٢١]، قال ابن كثير: "أي حلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما. وقد يخدع المؤمن بالله»[(١)]، «ولم يكن آدم يظن أن أحدا يقسم بالله كاذبا يمين غموس يتجرأ فيها على الله هذه الجرأة فغره عدو الله بهذا التأكيد والمبالغة فظن آدم صدقه"[(٢)].

٧ - تربية آدم على ستر العورة:

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾ [الأعراف ٢٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٥٧.

(٢) بدائع التفسير لابن القيم ٢/ ٢٠١.

وقال تعالى: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾[الأعراف٢٢].

فلما عصى آدم وزوجته أَمْرَ الله تعالى "ظهرت عورة كل منهما بعد ما كانت مستورة، فصار للعري الباطن من التقوى في هذه الحال أثر في اللباس الظاهر، حتى انخلع؛ فظهرت عوراتهما، ولما ظهرت عوراتهما؛ خَجِلا وجَعَلا يخصفان على عوراتهما من أوراق شجر الجنة، ليستترا بذلك"(١).

المطلب الثاني
الرعاية العلمية لآدم عليه الصلاة والسلام

١ - تعليم الله آدم الأسماء:

قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾[البقرة ٣١ - ٣٢].

فعلّم الله آدم الأسماء كلها(٢)، كما جاء في الآية، وكما ورد في حديث الشفاعة المعروف وفيه: قول النبي ﷺ ((**فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيديه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا عند ربك.....**))(٣).

فمن عناية الله تعالى لآدم عليه الصلاة والسلام وذريته، أن

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٢٨٥.

(٢) لا نعلم تفصيلات ذلك التعليم لأنه لم يرد في القرآن ولا في السنة ما يشير إلى تفاصيله.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قول الله: {وعلم آدم الأسماء كلها} (٤٢٠٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣).

علم آدم كل شيء لكي يقوم بواجب الخلافة في الأرض، المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فلا تكون الخلافة حقيقية بدون علم.

"إنها القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها رموزاً لتلك الأشخاص والأشياء المحسوسة. وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض. ندرك قيمتها حين نتصور الصعوبة الكبرى، لو لم يوهب الإنسان القدرة على ذلك، والمشقة في التفاهم والتعامل"(١).

"أَرَادَ سُبْحَانَهُ أن يظْهِر لملائكته فَضله وشرفه فأظهر لَهُم أحسن مَا فِيهِ وَهُوَ علمه فَدلَّ على أن الْعلم أشرف مَا فِي الانسان وأنَّ فَضله وشرفه إِنَّمَا هُوَ بِالْعلمِ"(٢).

"هذه الآية دالة على فضل العلم فإنه سبحانه ما أظهر كمال حكمته في خلقه آدم عليه الصلاة والسلام إلا بأن أظهر علمه فلو كان في الإمكان وجود شيء أشرف من العلم لكان من الواجب إظهار فضله بذلك الشيء"(٣).

٢ - تعليم الله آدم التوبة وأدب الدعاء:

لم يترك الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام بعد معصيته هكذا لا يدرى ماذا يفعل، فلما أخرجه هو وزوجته من الجنة علمه الله تعالى كيف يتوب ويستغفر قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة ٣٧]. وهذا من رعايته سبحانه وتعالى له ولذريته.

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٥٧.

(٢) بدائع التفسير لابن القيم١/ ٣٠٠.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ٢/ ٣٩٩.

وهذه الكلمات التي تعلمها آدم من ربه جاء تفصيلها في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف ٢٣][١]. وهذا أدب مبارك من آداب الدعاء ألا وهو الثناء على الله بما هو أهله، والاعتراف بالذنب والتقصير وما فيه من إظهار الخضوع والمسكنة والحاجة لله تعالى.

٣ - تعليم الله بني آدم الدفن:

قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة٣١].

عن ابن عباس قال: مكث يحمل أخاه في جِراب على رقبته سنةً، حتى بعث الله الغُرَابين، فرآهما يبحثان، فقال: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾؟ فدفن أخاه[٢].

"فلم يعرف الأخ القاتل كيف يواري جسد أخيه فأراد الله تعالى تعليمه وتعليم من بعده بأن أرسل الغراب يحفر في الأرض بمنقاره وبحث فيها برجله وكأنه يقول لذلك الإنسان العاجز: تعلم مني، واحفر حفرة واجعلها قبراً، وضع فيها جثة أخيك"[٣].

---

(١) رُوِيَ هذا عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، والربيع بن أنس، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القُرَظي، وخالد بن مَعْدان، وعطاء الخراساني، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٣٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي١/ ٣٢٤.

(٢) جامع البيان للطبري ١٠/ ٢٢٥، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٤/ ٢ (١٨٠).

(٣) القصص القرآني لصلاح الخالدي ١/ ١٤٦ - ١٤٧.

المبحث الثاني
رعاية الله تعالى لإسماعيل عليه الصلاة والسلام

ذكر الله لنا في القرآن قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في غير موضع من القرآن ويمكن أن نجمل رعاية الله جل جلاله لإسماعيل عليه الصلاة والسلام في الجوانب التالية:

المطلب الأول
الرعاية التربوية والعلمية
لإسماعيل عليه الصلاة والسلام

أولًا: الرعاية التربوية:

١ - تربيته على التسليم الكامل لأمر الله:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الصافات١٠١ - ١٠٢]. قال ابن كثير: "وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه"(١). فماذا يكون من أمر الغلام، الذي يعرض عليه الذبح، تصديقاً لرؤيا رآها أبوه؟

"إنه يرتقي إلى الأفق الذي ارتقى إليه من قبل أبوه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ إنه يتلقى الأمر لا في طاعة واستسلام فحسب. ولكن في رضا كذلك وفي يقين ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ في مودة وقربى، فشبح الذبح لا يزعجه ولا يفزعه ولا يفقده رشده،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٢٨.

بل لا يفقده أدبه ومودته. ﴿ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ ﴾ فهو أحس أن الرؤيا أمر. وأنها تكفي لكي يلبي وينفذ بغير لجلجة ولا تمحل ولا ارتياب.

ثم هو الأدب مع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال؛ والاستعانة بربه على ضعفه ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية، ومساعدته على الطاعة: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ فلم يأخذها بطولة، أو شجاعة، أو اندفاعاً إلى الخطر دون مبالاة. ولم يُظهر لشخصه ظلاً ولا حجماً ولا وزناً.. إنما أرجع الفضل كله لله إذ هو من أعانه على ما يطلب، وصبَّرَه على ما يراد به: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾".

٢ - تربيته على الصبر على البلاء:

قال تعالى عنه: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ "فالابن قد وطَّن نفسه على الصبر، وهانت عليه في طاعة ربه ورضا والده نفسُه، وقرن ذلك بمشيئة اللهّ تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة اللهّ تعالى"[١].

٣ - تربيته على بر الوالدين:

فقد لبى طلب أبيه إبراهيم عندما أمره أن يطلق زوجته غير القنوع، كثيرة التشكي. وهذا يبين أنه قد ربي على ذلك من صغره[٢]، وقبلها أرضى والده حين قال له أنه سيذبحه، ولم يرفض أو يتردد، وعندما أمره ببناء البيت معه.

٤ - تربيته على الصدق في الوعد:

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ ﴾ [مريم ٥٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧٠٦.

(٢) سيأتي ملخص الرواية في ذلك عند البخاري في الحديث عن الرعاية الأسرية.

أي: "واذكر يا محمد في الكتاب إسماعيل بن إبراهيم، فاقصص خبره إنه كان لا يكذب وعده، ولا يخلف، ولكنه كان إذا وعد ربه، أو عبدًا من عباده وعدًا وفَّى به"(١)، وعن ابن جريج، قال: "لم يعد ربه عِدة إلا أنجزها"(٢).

فصدق الوعد صفة كل نبي وكل صالح. فقد وصفه الله أنه ﴿ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾ "بسبب أنه لا يعد وعداً إلا مقروناً بالاستثناء، كما قال لأبيه حين أخبرهم بأمر ذبحه: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾"(٣).

٥ - تربيته على الدعوة وخصوصاً دعوة أهله:

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم ٥٥]. "كان يبدأ أهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم. ولأنهم أولى من سائر الناس"(٤).

٦ - تربيته على الحلم وحسن الخلق:

قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[الصافات١٠١] "ووصف الله إسماعيل عليه الصلاة والسلام بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عمن جنى"(٥).

٧ - تربيته على الخشونة والرجولة:

فقد تركه هو وأمه وهو صغير قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. فنشأ وترعرع في ظل غياب أبيه، وفي مكان تصعب الحياة فيه.

---

(١) جامع البيان للطبري ١٨/ ٢١١.

(٢) جامع البيان للطبري ١٨/ ٢١١، الدر المنثور ٥/ ٥١٦.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٤/ ٥٤١.

(٤) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ١٠٤.

(٥) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٧٠٥.

٨ - تيسير الله له أماً تربيه وأباً يتعاهده:

فقد كانت ترعاه أمه ويتعاهده أبوه، وهذا يدل على دور الأم في تربية ورعاية طلاب العلم، وكذلك دور الأب في التعاهد والمتابعة ولو بعد حين كما في قصة زيارة إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام بعد زواجه.

ثانيا: الرعاية العلمية:

١ - اصطفاء الله له رسولًا نبياً:

من أعظم ما يظهر هذه العناية أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام كان رسولاً نبياً، وكان أبوه كذلك، ولا عجب أن يصطفيه الله لذلك، فكان إسماعيل نبياً من أنبياء هذه الأُمة. قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ ﴾[مريم ٥٤]. ولا يكون ذلك إلا بتوفيق من الله ورحمة منه واتباع لشرع الله.

٢ - تعليمه التوحيد ومسائل القضاء والقدر:

وهذا يظهر من قول إسماعيل عليه الصلاة والسلام عندما أراد والده ذبحه بأمر من الله: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات١٠٢]. "فقد قرن رضاه وطاعته لله بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى"[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٧٠٦.

المطلب الثاني
الرعاية الاجتماعية لإسماعيل عليه الصلاة والسلام

أولًا: الرعاية الأسرية:

١ - إلهام الله تعالى لإبراهيم دعاءه لأسرته ومنهم إسماعيل:

فقد دعا إبراهيم أن يحفظ الله إسماعيل وأمه عندما تركهما في مكة، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم ٣٧].

وكان ذلك دأبه حتى بعدما كبر إسماعيل وتزوج وبنيا البيت فكان من دعائه: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾ [البقرة١٢٨].

٢ - رعاية والده له بعد زواجه:

أراد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يطمئن على ابنه ووريث دعوته من بعده إسماعيل عليه الصلاة والسلام، فَجَاءَه بَعْدَمَا تَزَوَّجَ، فوجد زوجته غير قنوع بحالها فأمره أن يطلقها فلبى ذلك، ثم جاءه مرة أخرى ليطمئن عليه فوجد عنده زوجة قنوع راضية بما قدره الله مؤمنة، فأمره أن يحسن إليها ولا يفارقها فأطاعه[1].

ثانياً: الرعاية المادية؛ وذلك في أمور منها:

١ – تعليمه البناء:

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة ١٢٧].

---

(١) أخرج الرواية كاملة البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب {يزفون} (٣٣٦١).

قال ابن عباس ﷺ: "قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال: فاصنع ما أمرك ربك قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن ابني هاهنا بيتا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجر وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾"(١).

٢ - تعليمه الصيد:

فقد جاء في الخبر: "كَانَ عَيْش إِسْمَاعِيل الصَّيْد يَخْرُج فَيَتَصَيَّد، وفي حديث أبي جهم: «وكان إسماعيل يرعى ماشيته ويخرج متنكِّباً قوسه فيرمي الصَّيْد"(٢).

٣ - تيسير الله له أبا يعينه على الاعتماد على نفسه في كسب المعاش وتحصيله:

قال تعالى:: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ [الصافات١٠٢]، قال القرطبي: "فلما بلغ معه المبلغ الذي يسعى مع أبيه في أمور دنياه معينا له على أعماله"(٣)، وقال أبو حيان: "أي أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه"(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير لابن أبي حاتم ١/ ٢٣٢.

(٢) ذكره ابن حجر في الفتح عند شرح حديث رقم (٣٣٦١)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب {يزفون}.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٩٩.

(٤) البحر المحيط لأبي حيان ٩/ ٣٠٧.

المبحث الثالث
رعاية الله تعالى ليوسف عليه الصلاة والسلام

تميزت رعاية الله ليوسف عليه الصلاة والسلام بأنها شملت مراحل حياته كلها منذ أن كان طفلاً صغيرا في حجر والده، حتى أصبح عزيز مصر.. وكل مرحلة من مراحل حياته كان ربه سبحانه وتعالى يرعاه رعاية خاصة تؤهله للمرحلة التي سيقدم عليها.. ويمكن إبراز ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول
الرعاية التربوية ليوسف عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله سبحانه وتعالى التربوية ليوسف عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - تربيته على العبودية لله وحده والالتجاء إليه والتبرؤ من الحول والقوة:

فقد حكى الله عنه دعاءه في حال الشدة قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾[يوسف ٣٣].

وفي حال الرخاء قوله﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١١٠] فتبرأ من الحول والقوة.

٢ - تربيته على الإخلاص:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف:٢٤].

"قوله: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾؛ فيه قراءتان: قراءة باسم الفاعل؛ ـ (المخلِصين) بكسر اللام ـ، وأخرى باسم المفعول؛ ـ ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام ـ فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيا بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص، ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه واصطفاه لرسالته.

وقد كان يوسف ﷺ بهاتين الصفتين، لأنه كان مخلِصا في طاعة الله تعالى، مستخلَصا لرسالة الله"[1].

٣ - تربيته على الصبر بكل أنواعه:

فقد صبر يوسف على الغربة عن أهله، وصبر على كيد إخوته، وصبر عن الوقوع في الفاحشة، وصبر على السجن، وصبر في وقت الرخاء والنصر فقال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠٠-١٠١].

٤ - تربيته على نسب الفضل لأهله:

فقد نسب الفضل لله بقوله: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ وقوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ١٧٠.

وقوله: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[يوسف:٣٨] قال ابن عباس ﷺ مفسرا هذه الآية: "من فضل الله علينا أن جعلنا أنبياء؛ وعلى الناس أن بعثنا إليهم رسلا"(١).

وقوله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾

٥ - تربيته على العفة:

قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف ٢٣]. فرزقه الله العصمة من شر هذه الفتنة – مع توفر أسبابها من غربته وسلطة الداعي والشباب – فاستعاذ بربه منها، وبيّن أنها ظُلم، وكانت من ثمرتها أن أصبح عزيز مصر المستأمن على خزائنها.

"فالعفة تحفظ بها الأعراض في الدّنيا، وتجلب اللذّة والنّعيم في الآخرة. وهي ركن من أركان المروءة الّتي ينال بها الحمد والشّرف، وهي نظافة للفرد والمجتمع من المفاسد والمآثم وهي دليل كمال النَّفس وعزِّها. صاحبها مستريح النَّفس مطمئنُّ البال. وهي دليل وفرة العقل، ونزاهة النّفس"(٢).

(١) النكت والعيون للماوردي ٣/ ٣٨.

(٢) ينظر: نضرة النعيم لابن حميد ٧/ ٢٨٨٨ باختصار.

٦ - تربيته على الذكاء والفطنة:

فلقد استطاع أن يبلغ إخوته رسالة عتاب، وأن يُعَلِّمهم، وأن يأخذ أخاه، وأن يأتي بأبيه وإخوته إليه، كلُّ ذلك بذكاء وفطنة قال تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦].

٧ - تربيته على كظم الغيظ والحلم والعفو والصفح عمَّن ظلمه عند المقدرة:

قال تعالى: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾

فتظهر نتيجة تلك التربية عندما قال إخوة يوسف لما رأوا الصاع يستخرج من رحل أخيهم: ﴿إِن يَسْرِقْ﴾ هذا فليس بغريب عنه؛ ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾؛ يعنون يوسف عليه السلام، ومقصودهم تبرئة أنفسهم، وأن هذا وأخاه قد يصدر منهما ما يصدر من السرقة، وهما ليسا شقيقين لهم.

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾؛ ولم يقابلهم على ما قالوه بما يكرهون، بل كظم الغيظ، وأسرَّ الأمر في نفسه؛ وقال في نفسه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ حيث ذممتمونا بما أنتم على أشرَّ منه، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي: يعلم الله أنا براء مما وصفتمونا به من السرقة[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٤٠٢.

ثم إن يوسف عليه السلام لما عرَّفهم بنفسه آخر الأمر أقروا له بأنهم أساءوا إليه وأخطؤوا في حقه؛ فما انتقم منهم رغم مقدرته على ذلك وإنما قال:﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾[يوسف:٩٢]، يقول لهم: لا تأنيب عليكم، ولا عتب عليكم اليوم، ثم زادهم على ذلك أن دعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان الذي لا يأتي إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين[١]، فهذه المغفرة بعدما ألقوه في البئر، وبيعه مملوكًا، وتعريضه للفتن وسجنه، واتهامه بالسرقة..

٨ - تربيته على إنكار الذات:

فلما طلب منه إخوته العفو منهم سامحهم، ووكل أمر ذلك ونسبه إلى الله: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[يوسف٩١ - ٩٢].

فلم يقل أنا غفرت لكم أو قال أنا سامحتكم بل نسب المغفرة والعفو لله تعالى.

٩ - تربيته على عدم جرح المشاعر:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[يوسف: ١٠٠].

حيث إنّ يوسف عليه الصلاة والسلام لم يجرح مشاعر إخوته

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٤/ ٤٠٨، تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص: ٤٠٤.

أمام والده؛ بأن يقول: وقد أحسن بي إذ أخرجني من الجب والسجن، واكتفى بذكر السجن، وكذلك نراه رد ما فعله به إخوته إلى الشيطان ونزغه.

"فلم يذكر خروجه من الجب، مع أن النعمة فيه أعظم، لوجهين: أحدهما: لئلا يستحيي إخوته، والكريم يغضي عن اللوم، ولاسيما في وقت الصفاء. والثاني: لأن السجن كان باختياره، فكان الخروج منه أعظم، بخلاف الجب"(١).

المطلب الثاني
الرعاية العلمية ليوسف عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله سبحانه وتعالى العلمية ليوسف عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - تعليمه تفسير وتأويل الرؤيا:

فقد بشره أبوه أن الله سيعلمه تأويل الأحاديث: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: ٦]، وعندما تعرض وسئل عن تأويل رؤيا السجينين افتتح تأويله لهما بإثبات أن ذلك مما علمه الله، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ ﴾ [يوسف: ٣٧].

وأثنى يوسف على ربه وحمده على هذه النعمة بقوله: ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: ١٠١]. فقد كان لهذا الجانب من التعليم أثره في دعوته وخروجه من السجن ومن ثم أصبح به عزيز مصر، حتى أن يوسف عليه السلام أدرك ذلك غاية الإدراك فحمد الله تعالى على نعمة هذا النوع من العلم.

(١) البرهان للزركشي ٣/ ٦٦.

٢ - تعليمه العلم النافع مع الحكمة:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[يوسف٢٢].

فقد أثنى الله تعالى ونص على أنه أعطاه الحكم والعلم الذي يستطيع أن به أن يكون خليفة في الأرض يدعو للتوحيد وإخلاص الدين لله ويقيم حياة الناس ويصلحها بهذا التوحيد.

وجمع بين العلم والحكم، "لإنه ليس كل عالم حكيماً، إنما الحكيم العالم المستعمِلُ علمَه، الممتنعُ به من استعمال ما يجهَّل فيه"(١).

٣ - تعليمه مهارة القيادة:

قال تعالى على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[يوسف٥٥]. أي: "حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصا من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه"(٢).

فإن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يتطلع لهذا الملك وهذه الوظيفة إلا وهو يدرك ويعلم ما تحتاجه من أمانة وعلم، وقد علم من نفسه ذلك بما علمه الله تعالى حيث لم يتلق علم الحكم والقيادة إلا من ربه جل وعلا الذى صنعه على عينه.

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢/ ٤٢٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٤٠٠.

٤ - علمه العقيدة والدعوة:

وبرز هذا الجانب من التعليم في حديثه مع من كانوا معه في السجن، وإبداء دعوته لهم بالتوحيد قبل أن يجيبهما عن سؤلهما، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[يوسف ٣٧-٤٠].

٥ - تعليمه فن وأدب الحوار:

وهذا يظهر بجلاء في عدد من المواقف، منها:

فن الحوار مع السجينين معه، فقد قال لهما: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ "فلم يشتم دينهما أمامهما؛ لأن المقام ليس مقام رد ولا استفزاز ولا حساب، بل مقام بلاغ، والحق إذا تبين فليس بالضرورة أن يجهر بشتم الباطل الذي يدين به الشخص المقابل"[١].

ثم قال لهم: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ و"إنما قال ذلك تمهيدا للدعوة، وإظهارا أنه من بيت النبوة؛ لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه، والوثوق به"[٢].

---

(١) من تدبرات الشيخ ناصر العمر عند الآية في مجموعة ليدبروا آياته.

(٢) البحر المديد لأحمد بن محمد بن المهدي ٢/ ٥٩٦.

وكان يناديهم بنداء الصحبة، ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ وهذا من آداب الحوار وفنونه المهمة.

وكذلك فن الحوار مع إخوته، ومن نماذج ذلك ضبط النفس والبعد عن ردود الفعل الناتجة عن الاستفزاز أثناء الحوار، "فيوسف آذاه إخوانه، وألقوه في بئر حتى سيق مملوكًا بثمن بخس، وسجن سنين، ثم بعد ذلك يصبح عزيز مصر، قال إخوته: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾، يقصدون يوسف، فماذا فعل؟ انظروا إلى ضبط النفس: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ [يوسف: ٧٧] حتى إنه لم يُرِد جرح مشاعرهم بهذه الكلمة؛ فقالها سرًّا في نفسه"(١).

وهذا وغيره من أساليب الحوار وفنونه التي علمها الله يوسف عليه الصلاة والسلام، ولم نذكرها اختصارا فالمقام ليس للحصر وإنما لإبراز هذا الجانب.

المطلب الثالث
الرعاية الأسرية ليوسف عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله سبحانه وتعالى الأسرية ليوسف عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية

١ - **هيأ الله تعالى ليوسف عليه الصلاة والسلام أباً نبياً يتعلم** منه، ويخاف عليه، ويُحذِّره من كيد الكائدين واعتداء المعتدين، فحذره أن يقص رؤياه على إخوته، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [يوسف٥].

(١) من تدبرات الشيخ ناصر العمر عند الآية في مجموعة ليدبروا آياته.

"نصحه بألا يقص رؤياه على إخوته، خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير - غير الشقيق - فيجد الشيطان من هذا ثغرة في نفوسهم، فتمتلىء نفوسهم بالحقد، فيدبروا له أمراً يسوؤه".

٢ - ورفض والده أن يرسله مع إخوته ليلعب معهم، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾[يوسف١٣]. إلا أن مشيئة الله فوق كل شيء.

هيأ الله له أخاً يخاف عليه وكان سببا في نجاته من القتل، فعندما قال إخوة يوسف:﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٩]. فقال هذا الأخ: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٠]. "فإن قتله أعظم إثما وأشنع، والمقصود يحصل بتبعيده عن أبيه من غير قتل، وهذا القائل أحسنهم رأيا في يوسف، وأبرهم وأتقاهم في هذه القضية، فإن بعض الشر أهون من بعض، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل"[(١)].

٣ - عوضه الله بفقد أهله بسبب حسد إخوته أن يتربى في بيت عزّ وملك، وهو بيت العزيز، وأن يتخذوه ولداً لهم يحمونه ويحرصون عليه أشد الحرص والرعاية، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[يوسف: ٢١].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٣٩٤.

"وإكرام مثواه كناية عن إكرامه على أبلغ وجه وأتمه؛ لأن من أكرم المحل بإحسان الأسرة، واتخاذ الفراش ونحوه، فقد أكرم ضيفه بسائر ما يكرم به.. وكما جعلنا له مثوى كريماً في منزل العزيز وقلبه، جعلنا له تصرفاً بالأمر والنهي، ومكانة رفيعة في أرض مصر، ووجاهة في أهلها، ومحبة في قلوبهم، ليكون عاقبة ذلك تعليمه تأويل الرؤيا التي ستقع من الملك، وتفضي بيوسف إلى الرياسة العظمى"[(١)].

"والمثوى مكان الثويّ والمبيت والإقامة، والمقصود بإكرام مثواه إكرامه، ولكن التعبير أعمق، لأنه يجعل الإكرام لا لشخصه فحسب، ولكن لمكان إقامته.. وهي مبالغة في الإكرام. في مقابل مثواه في الجب وما حوله من مخاوف وآلام!".

٤ - **جعل الله له أخا يؤنسه في غربته**، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٦].

المطلب الرابع
الرعاية الدعوية ليوسف عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله سبحانه وتعالى الدعوية ليوسف عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - فقد **علمه الله تعالى فقه الدعوة** الإقناع والتدرج في الدعوة والبدء بالمهم في أمور الدعوة، ويظهر أثر هذه الرعاية في حديثه مع الفتيان في السجن، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ١٦٣.

طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[يوسف: ٣٧-٤٠].

٢ - **علمه ربه الاستفادة من الفرص**، فإن يوسف عليه السلام حين طلب منه صاحباه في السجن أن يعبر رؤياهما وبدت له حاجتهما إليه؛ قصد أن يدعوهما إلى الإيمان في هذه الحال؛ ليكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما(١).

قال ابن كثير رحمه الله: "وكانت دعوته لهما في هذه الحال في غاية الكمال؛ لأن نفوسهما معظمة له، منبعثة على تلقي ما يقول بالقبول، فناسب أن يدعوهما إلى ما هو الأنفع لهما مما سألا عنه وطلبا منه..."(٢).

٣ - **علمه الله تعالى أنَّ وصوله إلى الناس وإلى قلوبهم يجب أن يقوم على النظر في مصالحهم** وخدمتهم، فاتخذ الحكم وتأويل الرؤيا وعلمه بها طريقاً يسلكه في الدعوة إليه، وهذا من تربية الله له أن جعله يستغل

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي في تفسير ص ٣٩٧.

(٢) البداية والنهاية ١/ ٢٠٧.

المواقف في الدعوة. ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[يوسف: ٣٧].

وسأل يوسف عليه السلام منصب حافظ خزائن مصر؛ كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[يوسف:٥٥]وذلك ليحفظها من الضياع؛ وقد كان الناس مقبلين على سبع سنين شداد؛ وكذا ليتوصل بذلك إلى نشر العدل ورفع الظلم؛ ويتوسل به إلى دعاء أهل مصر إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأوثان(١).

ومن هنا تحدث العلماء حول جواز طلب المرء الولاية لنفسه إن علم أنه كفء لها ولا يوجد غيره، وليتوسل بها إلى تبليغ الدعوة وتحقيق العدل.

٤ - **هيأ الله له أصحاباً في السجن يدعوهم** ويعلمهم ويأنس بهم، وكان أحدهم سبباً في إخراجه من السجن وحكمه لمصر بالعدل والحق ونشر دعوة الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [يوسف: ٤٥].

٥ - **اختياره الصبر ودخول السجن على الاستجابة لمكر النساء** والعيش بأمان ودعة خارج السجن. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

٦ - **تربيته على أن يكون قدوة حسنة للمدعوين**، فكان عليه

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان ٦/ ٣٥٦.

الصلاة والسلام قدوة حسنة بفعاله قبل أن يكون قدوة بأقواله؛ ولم يؤثر عامل الزمان والمكان على ذلك؛ ففي السجن قال له صاحباه: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف:٣٦].

وقال له إخوته وهو عزيز مصر: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف:٧٨].

وقبل ذلك وبعده قال له ربه عز وجل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف:٢٢].

المطلب الخامس
الرعاية الأمنية ليوسف عليه الصلاة والسلام

يشير الله تعالى في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾[يوسف:٢٤] إلى عموم السوء، فقد صرف الله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام كثيرا من السوء وهذا من معية الله له.

ويمكن إجمال رعاية الله سبحانه وتعالى الأمنية ليوسف عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

برز ذلك في حفظ الله له من المهالك التي مرّ بها عليه الصلاة والسلام، وذلك عندما:

١ – **نَجَّاه الله تعالى من قتل إخوته له** قال تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾[يوسف ١٠].

"فهذا القائل أحسنهم رأيا في يوسف، وأبرهم وأتقاهم في هذه القضية، فإن بعض الشر أهون من بعض، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل"[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي٣٩٤.

٢ - **أنجاه الله وأخرجه من البئر** قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[يوسف١٩].

٣ - أنقذه الله بشهادة الشاهد لما مكرت به امرأة العزيز، قال تعالى: ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[يوسف: ٢٦-٢٨].

٤ - أنجاه الله تعالى وأخرجه من السجن، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[يوسف: ٥٤].

المطلب السادس
الرعاية المهارية ليوسف عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله سبحانه وتعالى المهارية ليوسف عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

لقد أعطى الله يوسف عليه الصلاة والسلام القدرة والمهارة الكافية على:

١ - تأويل الرؤيا:

تأويل الأحاديث علم ومهارة، قال تعالى: ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[يوسف ٢١].

٢ - الحكم والإدارة:

فقد أعد الله تعالى يوسف عليه السلام للحكم والإدارة وخصوصاً في المجال الاقتصادي، فكان ذلك مؤهلٌ لأن يحتاجه عزيز مصر، وأن يبين له كيف يكون ذلك، ويطلب منه أن يكون مسؤولاً عن الخزائن،

قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[يوسف٤٧-٤٩].

٣ - التميز بالحفظ والأمانة والعلم بالصنعة:

فالحفظ والعلم هي عنصر النجاح في مثل هذه المسئوليات، ولذا مكَّنه عزيز مصر من ذلك قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾[يوسف ٥٤ - ٥٥].

٤ - حسن الإدارة والتدبير:

ويظهر أثر هذه الرعاية عندما طلب يوسف من إخوته إحضارهم لأخيه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾[يوسف: ٥٩].

وكذلك عندما أراد بقاءه عنده، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾[يوسف: ٧٠ - ٧٢].

٥ - حسن الخطاب:

ويظهر ذلك في جوابه العزيز، وطلب السجن، ودعائه ودعوته، وخلاصه من التهمة، واستدراج إخوته ليأتوه بأخيه، وإقناعهم بوجوب بقاء أخيه عنده من غير أن يشعروا أنه يوسف. وكذلك يظهر بحسن خطابه مع الله، ونسبة الفضل لله، وعدم التشكي إلا له سبحانه وتعالى.

المطلب السابع
رعاية الله ليوسف عليه الصلاة والسلام وإخوته من خلال والدهم يعقوب عليه الصلاة والسلام

يمكن إيجاز رعاية الله تعالى ليوسف وإخوته من خلال والدهم عليهم الصلاة والسلام في النقاط التالية:

أولًا: الرعاية الأمنية، والمتمثلة في:

١ - الحفاظ على يوسف من كيد إخوته وحسدهم، فقد قال له أبوه عندما قص عليه رؤياه ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[يوسف٥].

٢ - محاولته عليه الصلاة والسلام عدم دفع يوسف لإخوته عندما طلبوه أن يذهب معهم للعب، ولكنهم ألحُّوا على أبيهم وبينوا أنهم سيحافظون عليه، فقال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾[يوسف١٣].

ففي المرَّة الأولى حذر يوسف، وفي المرة الثانية قام هو بالدفاع عنه ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[يوسف٢١].

٣ - حذّر أبوه إخوته أن يدخلوا من باب واحد لئلا يُحسدوا على كثرتهم: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨﴾[يوسف: ٦٨].

٤ - حرصه على أخي يوسف من الضياع والإهمال: ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا

وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[يوسف ٦٤]، إلى قوله: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾[يوسف٦٦].

٥ - أمر أبناءه بالاستمرار والجد في البحث عن يوسف وأخيه: قال تعال: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

ثانياً: الرعاية التربوية العلمية:

فقد بشَّر يعقوب عليه الصلاة والسلام ابنه يوسف عليه الصلاة والسلام وأخبره أنه سيكون له شأن في المستقبل كما كان لآبائه ليستعد لذلك الحمل العظيم بالعلم والصبر على المكروه؛ قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾[يوسف ٦].

وقد ظهرت جوانب تلك التربية وآثارها في كل مراحل القصة ومن ذلك:

- **تربيتهم على التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب**، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [يوسف: ٦٧].

- **تربيتهم على عدم اليأس، وحسن الظن بالله**، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧].

- **تربيتهم على اللجوء إلى الله**، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف: ٨٦].

- **تربيتهم على أهمية العقود والمواثيق**، قال تعالى: ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٦٦﴾ [يوسف: ٦٦].

- **الإجمال فيما لا يحسن التفصيل فيه**، قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف: ١٨]. وكذلك فعل يوسف مع إخوته قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ [يوسف: ٧٧].

- **تربيتهم على الحذر من مسالك الشيطان**، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [يوسف: ٥].

- **تربيتهم على اللطف في العتاب**، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٩٨﴾ [يوسف: ٩٤ - ٩٨].

- **تربيتهم على قوة الصبر في قوله تعالى**: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف ٨٦]، وقوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف ٨٣].

المبحث الرابع
رعاية الله لداود عليه الصلاة والسلام

تتمثل رعاية الله سبحانه وتعالى لداود عليه الصلاة والسلام أن أعطاه الله تعالى فضائل كثيرة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾[سبأ: ١٠].

وهذا الفضل الذي أعطاه الله تعالى لداود هو بمثابة الرعاية له، وبيَّن الله تعالى هذا الفضل الذي تفضّل به على داود في آيات كثيرة يمكن إجماله في المجالات التالية:

المطلب الأول
الرعاية التربوية لداود عليه الصلاة والسلام

ويتضح هذا الجانب من خلال قصة الخصمين والتعقيبات عليها:

قال تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[ص: ٢١ – ٢٦].

"فقد أرسل الله سبحانه وتعالى لنبيه داود عليه الصلاة والسلام

ملكين للامتحان، فدخلا عليه من غير باب المحراب، ففزع منهم نبي الله داود عليه الصلاة والسلام، لدخولهما عليه من غير الباب الذي منه المدخل، وقيل لأنهما دخلا عليه ليلاً "[١].

"فقال أحد الخصمين: نحن خصمان تعدَّى أحدنا على صاحبه بغير حق، فاقض بيننا بالعدل، ولا تَجُرْ، ولا تسرف في حكمك بالميل منك مع أحدنا على صاحبه، وأرشدنا إلى الطريق المستقيم.

ثم بدأ يذكر سبب المخاصمة فقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴾ أي انزل لي عنها وضمها إلي، ﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ أي: وكان أعز مني في مخاطبته إياي؛ لأنه إن تكلم فهو أبين مني، وإن بطش كان أشد مني فقهرني، فقال داود عليه الصلاة والسلام للخصم المتظلم: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾ ثم قال: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي: وإن كثير من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض، ثم استثنى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ أي: وقليل ما تجد ذلك الصنف من الناس"[٢].

فمن هذه القصة يمكن استخراج تربية الله تعالى لنبيه داود عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - **تربيته على قبول الحق والموعظة من كل أحد**، فإن الخصمين نصحا داود بقولهما: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ فلم يشمئز ولم يغضب، ولم يثنه ذلك عن الحق.

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٠/ ٥٣ - ٥٤ مختصرا.

(٢) جامع البيان للطبري ٢٠/ ٥٤ - ٧٥.

٢ - **تربيته على الصبر والحلم** مع العفو على ما يفعله الناس من أمور مخلة في حق الداعية، فلم يمنع داود عليه الصلاة والسلام سوء أدب الخصمين ودخولهما عليه من غير استئذان من أن يقضى لهم حاجتهما وهذا هو الواجب على الداعية، وكذلك ما غضب عليهما حين جاءاه بغير استئذان ولا انتهرهما ولا وبخهما.

٣ - **تربيته على العدل وتحمل المسؤولية**، قال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي: "يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا، حكماً بين أهلها فاحكم بينهم بالعدل والإنصاف، ولا تتبع الهوى وتؤثره في قضائك بينهم على العدل والحق فتجور عن الحق فتكون من الهالكين"[١].

٤ - **تربيته على عدم التسرع في إصدار الأحكام**، فقد عاتب الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام ليس على حكمه وإنما على تسرعه في الحكم وعدم سماعه من الطرف الآخر: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

(١) المصدر السابق ٧/ ٥٤ - ٧٧.

٥ - **تربيته على الاستغفار والتوبة**، قال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾، وقد مدحه الله تعالى بذلك فقال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[ص: ١٧]. "أي: رجَّاع إلى الله في جميع الأمور بالإنابة إليه، بالحب والتأله، والخوف والرجاء، وكثرة التضرع والدعاء، رجاع إليه عندما يقع منه بعض الخلل، بالإقلاع والتوبة النصوح"(١).

المطلب الثاني
الرعاية العلمية لداود عليه الصلاة والسلام

قال تعالى في نهاية قصة قتل داود عليه الصلاة والسلام لجالوت: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[البقرة ٢٥١].

قال الماوردي: "يريد بالحكمة: النبوة. ويحتمل أن الحكمة: العدل في سيرته»(٢).

قال ابن كثير: «﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ أي: مما يشاء من العلم الذي اختص به ﷺ"(٣). وقال السدي: «والذي علمه: هو صنعة الدروع ومنطق الطير، وغير ذلك من أنواع ما علمه ﷺ"(٤).

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧١١.

(٢) النكت والعيون للماوردي ٤/ ١٩٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٠٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٢٤٥.

وقال تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ ﴾[الأنبياء ٧٨ - ٧٩]. قال الألوسي: "آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير، وخصها مقاتل: بعلم القضاء[(١)]، وابن عطاء: بالعلم بالله عز وجل"[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[النمل١٥]، وقال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [الإسراء: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾[ص: ٢٠].

وهذا العلم اختص به الله تعالى داود عن غيره من الأنبياء مناسبة لحاله، ولبيئته ولقومه، فالله تعالى يختص بعض الأنبياء ويعلمهم مالا يُعَلِّم غيرهم.

وهذا النوع من الرعاية شمل ذريته من بعده، فقد رزقه الله تعالى بأبناء كُثُرْ ومن خيرهم سليمان عليه الصلاة والسلام فقد اصطفاه الله تعالى بالنبوة قال تعالى: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ [ص: ٣٠].

---

(١) وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان ص٤٧١، ومعالم التنزيل للبغوي ٦/ ١٤٧.

(٢) روح المعاني للألوسي ١٩/ ١٦٩.

قال ابن كثير: "أي: في النبوة وإلا فقد كان له بنون غيره، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر، وقوله: ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ثناء على سليمان، عليه الصلاة والسلام، بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عز وجل"(١)، وقال السعدي: "أي: أنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه"(٢).

المطلب الثالث
الرعاية المهارية لداود عليه الصلاة والسلام

وذلك بأن أعطاه الله عوامل التمكين، ومنها:

١ - آتاه الله الملك:

قال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة٢٥١]. وقال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[الأنبياء٧٩].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾[ص: ٢٠].

قال الماوردي: "يريد بالملك السلطان وكان ذلك عند موت طالوت بعد سبع سنين من قتل جالوت على ما حكاه ابن السائب"(٣)، "أي: منَّ عليه بتملكه على بني إسرائيل"(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٦٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧١٢.

(٣) النكت والعيون للماوردي ١/ ٣٢٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١٠٨.

وهذا الملك كذلك من التمكين في الأرض الذي يجعله يسخر هذا التمكين في رعاية طلاب العلم.

٢ - سَخّرَ الله تعالى لداود الجبال والطير والحديد:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[سبأ: ١٠ - ١١].

وقال تعالى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ ﴾[ص: ١٧ - ١٨].

وقال: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[الأنبياء٧٩]. وهذا التسخير إعانة له على الدعوة إلى الله وطلب العلم فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام يستغلون كل الفرص المتاحة في خدمة رسالتهم التي بعثهم الله بها.

٣ - علَّم الله داود عليه الصلاة والسلام صناعة الدروع:

قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[الأنبياء٨٠].

"فالضمير في قوله ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ ﴾ راجع إلى داود، والمراد بصنعة اللبوس: صنعة الدروع ونسجها. والدليل على أن المراد باللبوس في الآية الدروع: أنه أتبعه بقوله ﴿ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ أي: لتحرز وتقي بعضكم من بأس بعض، لأن الدرع تقيه ضرر الضرب بالسيف، والرمي بالرمح والسهم،

كما هو معروف. وقد أوضح هذا المعنى بقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾[سبأ: ١٠ – ١١]، فقوله ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾أي: أن اصنع دروعاً سابغات من الحديد الذي ألناه لك"[١]. "فالمراد بها الدروع ونحوها، مما يقي لابسه وقع السلاح، ويسلمه من بأسه. وقد بين الله أيضاً هذه النعمة الكبرى، واستحقاق من أنعم بها لأن يشكر له في هذا الموضع"[٢].

٤ - علم الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام أن يأكل من عمل يده:

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾[الأنبياء٨٠] استشهد القرطبي بهذه الآية على "أكل الرجل من عمل يده، قال ﷺ: ((**إن أطيب ما أكل الرجل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**))"[٣][٤].

وقال أبو حيان: "وفي ذلك فضل هذه الصنعة إذ أسند تعليمها إياه إليه تعالى"[٥].

و"قال قتادة: إنما كانت الدروع قبله صفائح، وهو أول من سردها حلقا كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٢٣٢ – ٢٣٣.

(٢) أضواء البيان ٢/ ٤٢٠ بتصرف يسير.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب كسب الرجل من عمل يده (٢٠٧٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ١٠٨.

(٥) البحر المحيط ٨/ ١٧٩.

مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[سبأ١٠ - ١١]. أي لا توسع الحلقة فتقلق المسمار ولا تغلظ المسمار فتقد الحلقة"[١].

٥ - علمه الله سبحانه مهارة القضاء والإصلاح بين الناس:

قال تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾[ص: ٢٠].

قال ابن كثير: "قال مجاهد والسدي: هو إصابة القضاء وفهمه، وقال مجاهد أيضا: هو الفصل في الكلام وفي الحكم"[٢]، وقال السعدي: "أي: الخصومات بين الناس"[٣].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٥٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٥٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧١١.

المبحث الخامس

رعاية الله لسليمان عليه الصلاة والسلام

تميز نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام عن باقي الأنبياء بعظم ملكه، وهذا الملك مع النبوة يحتاج إلى تأهيل ورعاية خاصة حظي بها هذا النبي من ربه جل وعلا، تظهر من خلال ثمرتها ومواقف سليمان عليه الصلاة والسلام في دعوته.. نجملها في النقاط التالية:

المطلب الأول

الرعاية التربوية لسليمان عليه الصلاة والسلام

يمكن إبراز معالم الرعاية التربوية من الله تعالى لسليمان عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

أولا: تربيته على الدعاء:

ويظهر أثر هذه التربية في كثرة تضرع ودعاء سليمان عليه السلام ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[النمل: ١٩]

أي: "اجعلني وازعاً أي فقيراً إلى الشكر، أي ملازماً له مولعاً به، لأن كل فقير إلى شيء مجتهد في تحصيله، ويلزم على هذا التخريج احتقار العمل، فيكون سبباً للأمن من الإعجاب"[(١)].

(١) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٤١٧.

إنه "يضرع إلى ربه بهذا الدعاء وهو النبي الذي أنعم الله عليه وسخر له الجن والإنس والطير. غير آمن مكر الله - حتى بعد أن اصطفاه. خائفا أن يقصر به عمله، وأن يقصر به شكره.. يستعين بربه كذلك ليوفقه إلى عمل صالح يرضاه. وهو يشعر أن العمل الصالح توفيق ونعمة أخرى من الله ثم يدعوه بالدخول في عباد الله الصالحين، لأن الدخول في عباد الله الصالحين رحمة من الله، تتدارك العبد فتوفقه إلى العمل الصالح، فيسلك في عداد الصالحين.

بهذا النداء القريب المباشر المتصل.. ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ اجمعني كلي. اجمع جوارحي ومشاعري ولساني وجناني وخواطري وخلجاتي، وكلماتي وعباراتي، وأعمالي وتوجهاتي. اجمعني كلي. اجمع طاقاتي كلها. أولها على آخرها وآخرها على أولها لتكون كلها في شكر نعمتك عليّ وعلى والديّ.. وكذلك تكون الحساسية المرهفة بتقوى الله وخشيته والتشوق إلى رضاه ورحمته في اللحظة التي تتجلى فيها نعمته".

بل رباه على علو الهمة في الدعاء، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[ص ٣٥]. "في هذه الآية أدب من آداب الدعاء: وهو تعظيم الرغبة، وعلو الهمة في الطلب، فسليمان لم يكتف بسؤال الله المغفرة، ولكنه - لعلو همته وعلمه بسعة فضل ربه - سأله مع ذلك ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فأجاب الله دعاءه، وسخر له الريح، والشياطين، بل وله في الآخرة زلفى وحسن مآب"(١).

ثانيا: تربية على الشكر والتفنن فيه:

ظهر أثر هذه التربية من خلال عدد من المواقف، ومن ذلك:

(١) من تدبرات د. محمد الحمد ضمن مجموعة ليدبروا آياته.

١ - التصريح بشكر الله واعترافه بنعم الله تعالى:

كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل١٥] "وهذا عنوان سعادة العبد: أن يكون شاكراً لله على نعمه الدينية والدنيوية، وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها، بل يرى أنها تستحق عليه شكراً كثيراً"(١).

وقال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النمل١٦].

ولما أرسلت إليه ملكة سبأ بهدايا، ذكر نعمة الله عليه وشكرها باعترافه بالنعم ونسبها لله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النمل٣٦]

ولما أراد أن يأتي بعرش ملكة سبأ ووجده أمامه شكر نعمة الله تعالى كذلك واعترف بها، كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[النمل٤٠].

"لقد لمست هذه المفاجأة الضخمة قلب سليمان - عليه الصلاة والسلام - واستشعر أن هذه النعمة ابتلاء ضخم مخيف يحتاج إلى يقظة، ويحتاج إلى عون من الله ليتقوى عليه ويحتاج

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٦٠٢.

إلى معرفة النعمة والشعور بفضل المنعم، ليعرف الله منه هذا الشعور فيتولاه".

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾ [النمل: ٤٠]. حيث أنه "ولما ذكر الفضل أضافه إلى الله بعنوان كونه ربّه لإظهار أن فضله عليه عظيم إذ هو عبد ربه"(١).

٢ - طلب سليمان عليه الصلاة والسلام من الله تعالى الإعانة على الشكر:

كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ ﴾[النمل١٨ - ١٩] أي:" ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها علي، من تعليمي منطق الطير والحيوان، وعلى والدي بالإسلام لك، والإيمان بك، ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ أي: عملا تحبه وترضاه، ﴿ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي: إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك، والرفيق الأعلى من أوليائك"(٢).

"ويروى عن داود عليه الصلاة والسلام أنه قال: يا رب كيف أشكرك والشكر نعمة أخرى منك أحتاج عليها إلى شكر آخر؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إذا علمت أن ما بك من نعمة فمني فقد شكرتني"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩/ ٢٧٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ١٨٣.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٤١٧.

ثالثا: تربيته على التوبة والإنابة لله تعالى

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ص ٣٠-٣٥].

فقوله: ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ "أي كثير الرجوع إلى الله تعالى، بالتوبة والإنابة"(١).

وفي قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ "بدأ بطلب المغفرة قبل طلب المُلك العظيم؛ وذلك لأنَّ زوال أثر الذنوب هو الذي يحصل به المقصود، فالذنوب تتراكم على القلب، وتمنعه كثيرًا من المصالح، فعلى المؤمن أن يسأل ربَّه التخلص من هذه الذنوب قبل أن يسأل ما يريد"(٢).

وقد مدح الله تعالى والده داود فقال تعالى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[ص: ١٧] إشارة إلى أن صلاح الأب يأتي بالخير على الأبناء وهذا من عناية الله تعالى بسليمان عن طريق والده داود عليهما الصلاة والسلام.

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٨/ ٢٥٦.

(٢) تفسير سورة ص لابن عثيمين صفحة ١٦٧.

رابعا: التربية على التواضع للعلم ولمن هو أعلم:

ويظهر أثر هذا الجانب المهم من التربية من موقفه من الهدهد الذي قال له: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[النمل: ٢٢].

"أي: عندي العلم علم ما أحطت به على علمك الواسع وعلى درجتك فيه"(١).

"سليمان – الذي أوتي النبوة والملك – قال له الهدهد ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ فتواضع سليمان وقبل الحق؛ فكان سبب إسلام مملكة كاملة"(٢)، وهذا فيه "التنبيه على أن أضعف الخلق قد يؤتي مالا يصل إليه أقواهم لتتحاقر إلى العلماء علومهم ويردوا العلم في كل شيء إلى الله"(٣).

خامسا: تربيته على القناعة بما رزقه الله وعدم الخضوع للمغريات الدنيوية:

وظهر أثر هذه التربية في موقفه من هدية ملكة سبأ، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٥ – ٣٦]. "ففي الرد استهزاء بالمال، واستنكار للاتجاه إليه في مجال غير مجاله. مجال العقيدة والدعوة".

"إنما هي رشوة وبيع الحق بالباطل، وهي الرشوة التي لا تحل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٦٠٢.

(٢) من تدبرات د. ناصر العمر ضمن مجموعة ليدبروا آيته.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٤١٩.

لذلك ردها سليمان، وأما الهدية المطلقة للتحبب والتواصل فإنها جائزة من كل أحد وعلى كل حال، وهذا ما لم يكن من مشرك"[١].

وقوله: ﴿ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾؛ "لأنكم أهل مفاخرة في الدنيا ومكاثرة بها تفرحون بإهداء بعضكم إلى بعض، فأما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتي؛ لأن اللهّ تعالى قد مكنني فيها وأعطاني منها ما لم يعط أحدا، ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة"[٢].

سادساً: تربيته على التثبت من الأخبار:

ويظهر أثر هذه التربية في موقفه من الهدهد لما أخبره أنه عنده علم يقين ليس عند سليمان، قال تعالى: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [النمل: ٢٧-٢٨]"فلم يتسرع سليمان في تصديقه أو تكذيبه ولا يستخفه النبأ العظيم الذي جاءه به. إنما يأخذ في تجربته، للتأكد من صحته. شأن النبي العادل والملك الحازم".

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ١٥٩.

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٣/ ٤٠١.

المطلب الثاني
الرعاية العلمية لسليمان عليه الصلاة والسلام

يمكن إبراز معالم الرعاية العلمية من الله تعالى لسليمان عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١) تعليم الله تعالى لسليمان عليه الصلاة والسلام:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾[النمل: ١٥ - ١٦].

"فإن الله تعالى آتى داود وسليمان من نعم الدنيا والآخرة ما لا ينحصر، ولم يذكر من ذلك - في صدر الآية - إلا العلم؛ ليبين أنه الأصل في النعم كلها!"(١).

"لا يذكر هنا نوع العلم وموضوعه لأن جنس العلم هو المقصود بالإبراز والإظهار. وللإيحاء بأن العلم كله هبة من الله، وبأن اللائق بكل ذي علم أن يعرف مصدره، وأن يتوجه إلى الله بالحمد عليه، وأن ينفقه فيما يرضي الله الذي أنعم به وأعطاه".

٢) تفضيل الله تعالى سليمان عليه الصلاة والسلام بالعلم والفهم:

قال تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ۖ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنبياء ٧٨ - ٧٩].

(١) فتاوى السبكي ١/ ٧٣.

فقوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ قال القرطبي: "في الآية تفضيله له على داود، وفضيلته راجعة إلى داود والوالد تسره زيادة ولده عليه"(١).

فلقد أوتي داود وسليمان الحكمة والعلم، فليس في قضاء داود من خطأ، ولكن قضاء سليمان كان أصوب، قال الحسن: "كان الحكم بما قضى سليمان ولم يعنف الله تعالى داود في حكمه"(٢).

المطلب الثالث

الرعاية المهارية لسليمان عليه الصلاة والسلام

وذلك بأن أعطاه الله عوامل التمكين، ومنها:

١) آتاه الله تعالى الملك:

وقال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء٧٩]. والملك وإدارة الأمور من أهم المهارات التي يحتاجها الداعية في دعوته للناس وقيادتهم.

٢) تربيته على الإتقان في العمل ومتابعته الرعية بنفسه:

قال تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[النمل: ٢٠].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ٣٨.

(٢) جامع البيان للطبري ١٦/ ٣٢٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٣٥٦، الدر المنثور للسيوطي ٤/ ٣٢٥.

"ففي هذه الآية دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته، والمحافظة عليهم، فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يَخفَ على سليمان حاله، فكيف بعظام الملك، ويرحم الله عمر فإنه كان على سيرته، قال: لو أن سخلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب ليسأل عنها عمر، فما ظنك بوالٍ تذهب على يديه البلدان، وتضيع الرعية ويضيع الرعيان"[١].

"ندرك من افتقاد سليمان لهذا الهدهد سمة من سمات شخصيته: سمة اليقظة والدقة والحزم. فهو لم يغفل عن غيبة جندي من هذا الحشر الضخم من الجن والإنس والطير، الذي يجمع آخره على أوله كي لا يتفرق وينتكث".

٣) رعاية التسخير والنصرة والتأييد:

سخر الله تعالى لسليمان عليه الصلاة والسلام كل شيء من الجن والإنس والطير والريح، وجاءت هذه الرعاية في عدة آيات قرآنية، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾[الأنبياء: ٨١ - ٨٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٢-١٣].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ١٣١.

وأكدت هذه الرعاية من التسخير والنصرة آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٣٥ - ٤٠].

وتتضح الشمولية في هذا التسخير من خلال قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[النمل١٧].

قال ابن سعدي: "لما ذكر فضله على داود عليه الصلاة والسلام، ذكر فضله على ابنه سليمان، عليه الصلاة والسلام، وأن اللهّ سخر له الريح تجري بأمره، وتحمله، وتحمل جميع ما معه، وتقطع المسافة البعيدة جدا، في مدة يسيرة، فتسير في اليوم، مسيرة شهرين. ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ أي: أول النهار إلى الزوال ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ من الزوال، إلى آخر النهار ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي: سخرنا له عين النحاس، وسهلنا له الأسباب، في استخراج ما يستخرج منها من الأواني وغيرها.

وسخر اللهُ لسليمان، الشياطين والجن، لا يقدرون أن يستعصوا عن أمره، ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ وأعمالهم كل ما شاء سليمان، عملوه ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ وهو كل بناء يعقد، وتحكم به الأبنية، فهذا فيه ذكر الأبنية الفخمة، ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ أي: صور الحيوانات والجمادات، من إتقان صنعتهم، وقدرتهم على ذلك وعملهم لسليمان ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ أي: كالبرك الكبار، يعملونها لسليمان للطعام، لأنه يحتاج إلى ما لا يحتاج إليه غيره، ويعملون له قدورا راسيات لا تزول عن أماكنها، من عظمها"[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٦٧٦.

المطلب الرابع
الرعاية الدعوية لسليمان عليه الصلاة والسلام

١ - تعليمه الدعوة إلى التوحيد:

قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٦﴾ [النمل: ٢٣-٢٦].

فهذا الموقف يدل على عناية سليمان عليه الصلاة والسلام بالتوحيد وغرسه في قلوب رعيته ومسارعتهم في تغيير أي مظهر من مظاهر الشرك.

٢ - حرصه على الدعوة إلى الله:

قال تعالى: ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾ [النمل: ٢٩-٣١]. فبمجرد وصول خبر البلدة التي تشرك بالله تعالى أرسل إليهم مباشرة من يدعوهم إلى الله تعالى.

"وهذا في غاية الوجازة مع البيان التام؛ فإنه تضمن نهيهم عن العلو عليه، والبقاء على حالهم التي هم عليها، والانقياد لأمره، والدخول تحت طاعته، ومجيئهم إليه، ودعوتهم إلى الإسلام"[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٤٠٦.

ولذا كان "هذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة؛ فإنه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها"[١]. فـ"الكتاب برسالته لا بكثرة كلماته"[٢]!

٣ - تعليمه مهارة الإقناع الدعوي وإقامة الحجة:

قال تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[النمل: ٤١ - ٤٤]. فهنا أراد أن يدعوها للتوحيد بأن يظهر لها من قوة الله وقدرته، ونعمه، وعظمته ما يبهرها.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٤٩.

(٢) من تدبرات د. محمد الربيعة - مجموعة ليدبروا آياته.

المبحث السادس

رعاية الله لأيوب عليه الصلاة والسلام

قص الله تعالى في القرآن أبرز مرحلة من حياة أيوب عليه الصلاة والسلام، التي تمثل تسلية لكل الناس عامة وللدعاة خاصة، يبرز الله فيها مدى رعايته لعبده وما وصل إليه من تربية تجعله يتحمل هذا البلاء، وما جازاه الله على هذا الصبر العظيم..

ونبرز هذه الرعاية الربانية لأيوب عليه الصلاة والسلام من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

رعاية الله تعالى أيوب عليه الصلاة والسلام من خلال ابتلائه

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص: ٤١-٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء٨٣ - ٨٤].

ومعنى الآيات: "واذكر عبدنا ورسولنا، أيوب - مثنيا معظما له، رافعاً لقدره - حين ابتلاه، ببلاء شديد، فوجده صابراً راضياً عنه، وذلك أن الشيطان سلط على جسده، ابتلاء من الله، وامتحاناً فنفخ في جسده، فتقرح قروحاً عظيمة ومكث مدة طويلة، واشتد به البلاء، ومات أهله، وذهب ماله، فنادى ربه: رب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة فاستجاب الله له، وقال له: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾. فركض برجله فخرجت من ركضته عين ماء باردة فاغتسل منها وشرب، فأذهب الله عنه ما به من الأذى، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ﴾ أي: رددنا عليه أهله وماله.

﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ بأن منحه الله العافية من الأهل والمال شيئاً كثيراً، ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ به، حيث صبر ورضي، فأثابه الله ثوابا عاجلا قبل ثواب الآخرة.

﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ أي: جعلناه عبرة للعابدين، الذين ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثم ما أثابه الله بعد زواله، ونظروا السبب، وجدوه الصبر"[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٥٢٨.

المطلب الثاني

الرعاية التربوية لأيوب عليه الصلاة والسلام

يمكن بيان جوانب رعاية الله تعالى لأيوب عليه السلام في النقاط التالية:

١ - تربيته على اللجوء لله تعالى:

ويظهر أثر هذه الرعاية في ثناء الله عليه بقوله: قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ "أي: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ بأحسن الذكر، وأثنِ عليه بأحسن الثناء، حين أصابه الضر، فصبر على ضره، فلم يشتك لغير ربه، ولا لجأ إلا إليه، فـنَادَى رَبَّهُ داعياً، وإليه لا إلى غيره شاكياً - وقال تعالى عنه في ختام الآيات: ﴿ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ - أي: كثير الرجوع إلى الله، في مطالبه الدينية والدنيوية، كثير الذكر لربه والدعاء، والمحبة والتأله"[١].

٢ - تربيته على حسن الأدب في الدعاء:

ويظهر أثر هذه الرعاية على حسن الأدب في الدعاء وفي ثناء الله عليه بقول: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾[ص: ٤١]. وبقوله: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

قال السعدي: "فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة"[٢].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٧١٤ بتصرف واختصار.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٧١٤.

"فجمع في دعائه بين التوحيد، وإظهار الفقر، وطعم المحبة في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة.. ومتى وجد المبتلى هذا كُشفت عنه بلواه!"(١).

"وأيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ ووصف ربه بصفته: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. ثم لا يدعو بتغيير حاله، صبراً على بلائه، ولا يقترح شيئاً على ربه، تأدباً معه وتوقيراً، بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله إليه، اطمئناناً إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال"

"ولم يتعلق أيوب بشيء من عمله أو صبره، لكن تعلق بإيمانه العميق أن ربه أرحم الراحمين"(٢).

"فوصف نَفسه؛ وَوصف ربه؛ بِوَصْف يتَضَمَّن سُؤال رَحمته بكشف ضره، وَهِي صِيغَة خبر تَضَمَّنت السُّؤَال، وَهَذَا من بَاب حسن الْأَدَب فِي السُّؤَال"(٣).

ويظهر أدبه عليه الصلاة والسلام أيضا حين لم ينسب ما حل به من البلاء إلى الله، مع أن الأفعال كلها خيرها وشرها؛ خالقها هو الله لا شريك له في خلقه، ولكن الشرَّ لا ينسب إليه ذكرا، وإن كان موجودا منه خَلْقا، وهذا أدبٌ أدبنا به ربنا عز وجل، ويعلمنا إياه هنا سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام، ومنه قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[الشعراء:٨٠](٤).

(١) الفوائد لابن القيم ص ٣٠١.

(٢) من تدبرات د. عبدالله بن قاسم ضمن مجموعة ليدبروا آيته.

(٣) دقائق التفسير، ابن تيمية: (٢/ ٣٦٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٢١٠، وأيضا: المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان: ١/ ٤٥١.

٣ - تربيته على الصبر على البلاء:

ويظهر أثر هذه الرعاية في ثناء الله عليه بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ قال ابن كثير: "يذكر تعالى عن أيوب، عليه الصلاة والسلام، ما كان أصابه من البلاء، في ماله وولده وجسده، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثيرة، ومنازل مرضية. فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده.. وقد كان نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام، غاية في الصبر، ففرج الله عنه، وعَظَّمَ له الأجر، وأحسن عليه الثناء"(١).

فقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ أي: "ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه الله تعالى"(٢). فـ"مقام الصبر لا يساويه شيء، لأن الطريق إليه سبحانه لا ينفك شيء منه عن صبر وقهر للنفس وجبر، لأنها بالإجماع خلاف ما تدعو إليه الطبائع"(٣).

٤ - تربيته على التوبة والرجوع إلى الله:

ويظهر أثر هذه الرعاية في ثناء الله عليه بقوله: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: "إنه على طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رجَّاع"(٤). فهو "رَجَّاع منيب"(٥). "كثير الرجوع إلى الله تعالى، بالتوبة والإنابة"(٦).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٣٥٩ باختصار.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧١٤.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٦/ ٣٩٠.

(٤) جامع البيان للطبري ٢١/ ٢١٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٧٦.

(٦) محاسن التأويل للقاسمي ٨/ ٢٥٦.

المطلب الثالث

الرعاية الصحية والاجتماعية لأيوب عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله تعالى الصحية والاجتماعية لأيوب عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - **شفاؤه من بعد مرضه**: وجعل سبب ذلك دعاءه وإنابته لربه، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

٢ - **دعوته للسعي لعلاج نفسه**: وبين له الطرق لذلك، قال تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [ص: ٤٢] "أي: اضرب الأرض بها، لينبع لك منها عينٌ تغتسل منها وتشرب، فيذهب عنك الضر والأذى، ففعل ذلك، فذهب عنه الضر، وشفاه اللهّ تعالى"[(١)].

وهذا فيه تربية لأيوب عليه الصلاة والسلام ومن بعده "بأنه سبحانه وتعالى يجري أقداره على أسباب يقوم بها الناس، فإنه قادر على شفاء أيوب عليه الصلاة والسلام بقوله "**كن**" "**فيكون**"، ولكنه جل جلاله أمره أن يضرب الأرض بقدمه لينبع الماء فيشرب منه ويغتسل؛ فيزول بذلك ما حل به داء باطني وخارجي"[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٧١٤.

(٢) دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد غلوش ١/ ٢٥١.

٣ - **تعويض الله له:** قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٤]"قال الحسن وقتادة: أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم"(١).

٤ - **إصلاح الله ما بينه وبين زوجته:** قال تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾.

قال ابن كثير: "وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته. قيل: إنها باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة. وقيل: لغير ذلك من الأسباب. فلما شفاه الله وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثًا - وهو: الشِّمراخ - فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برّت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأناب إليه ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾"(٢)، فأصلح الله له زوجته، وأصلح ما بينه وبينها من المغاضبة وأسبابها.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢١/ ٢١٢، وابن كثير تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٧٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٧٦.

المبحث السابع

رعاية الله لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام

نبي الله زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، قد حظيا برعاية ربانية من الله تعالى سجلها القرآن الكريم ليستلهم منها الدعاة والمصلحون والمربون منهجا عمليا في التربية والرعاية والتوجيه.

ويمكن بيان رعاية الله تعالى لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

الرعاية التربوية والعلمية

لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله تعالى التربوية والعلمية لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - التربية على العبودية لله تعالى:

من ثمرة تربية الله تعالى زكريا ويحيى عليهما السلام على العبودية، وصف الله زكريا بالعبودية في قوله تعالى: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ [مريم: ٢].

وجمع بينه وبين يحيى في مظاهر تلك العبودية في قوله تعالى: قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٥]، وفي قوله: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

فالمسارعة في الخيرات والصلاح في الدين أوصلتهم لمرتبة العبودية.

ومن مظاهر عبوديته ما ذكره الله تعالى من كثرة عبادته في قوله: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾[آل عمران٣٩]، وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[مريم: ١١]، فقد جاءه الفرج من الله وهو قائم لله تعالى متجها إليه، فالتعبير بالقيام لله تعالى يشير إلى الاجتهاد في العبادة.

ومن مظاهر العبودية التقوى التي وصف الله بها يحيى بقوله: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾[مريم١٣] "موصولاً بالله، متقياً له، مراقباً له، يخشاه ويستشعر رقابته عليه في سره ونجواه. ذلك هو الزاد الذي آتاه الله يحيى في صباه، ليخلف أباه كما توجه إلى ربه وناداه نداء خفيا. فاستجاب له ربه ووهب له غلاماً زكياً".

٢ - تربيته على كثرة الذكر والدعاء وأدب المناجاة لربه:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران٤١] "قال محمد بن كعب: لو رخص الله لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا لأنه منعه من الكلام وأمره بالذكر"[(١)].

وظهرت ثمرة هذه التربية في دعاء زكريا عليه الصلاة والسلام ومناجاته لربه، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَب لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[آل عمران: ٣٨].

فمن أدبه في الدعاء قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ "فجاء الطلب بلفظ

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٢/ ٣١٥.

الهبة لأن الهبة إحسان محض ليس في مقابلة شيء وهو يناسب ما لا دخل فيه للوالد لكبر سنه ولا للوالدة لكونها عاقرة لا تلد"[١].

وقال تعالى: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[مريم: ٢ – ٥].

"وإنما كان خفياً لأن زكريا رأى أنه أدخل في الإخلاص مع رجائه أنّ الله يجيب دعوته لئلا تكون استجابته مما يتحدث به الناس"[٢]، "إنه يناجي ربه بعيدا عن عيون الناس، بعيدا عن أسماعهم. في عزلة يخلص فيها لربه، ويكشف له عما يثقل كاهله ويكرب صدره». كل هذا في خضوع في الدعاء وإظهار الذل والمسكنة والضعف والحاجة لله تعالى".

وفي قوله: ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ صورة من صور الأدب مع الله في الدعاء، "فالمعنى إنك عودتني أجابتك وإسعافك ولم تشقني بالرد والحرمان فهو توسل إليه تعالى بما سلف من إجابته وإحسانه"[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٩]، إنه الأدب مع الله والاعتراف بنعم الله، وحسن العرض لما هو مهموم به.

(١) روح المعاني للألوسي ٣/ ١٤٤.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦/ ٦٢.

(٣) بدائع التفسير لابن القيم ٣/ ١٣٤.

٣ - تربيتهما على قدرة الله تعالى على كل شيء:

تربى زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام أن الله قادر على كل شيء وأنه سبحانه لا يعجزه شيء، فأكرمه الله بما خرق به العادة أن وهب له الولد رغم كبره وعقم زوجته، وتربى يحيى على هذا المعنى لأنه هو نتاج تلك التجربة والتربية..

وجاءت هذه التربية في ثلاثة مواقف:

الأول: عن طريق مريم أم عيسى، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران٣٧] فقد رأى زكريا بنفسه قدرة الله تعالى في الرزق، وتأكد له ذلك بقول مريم:﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: "من غير حسبان من العبد ولا كسب"[١].

الثاني: "لما رأى زكريا عليه الصلاة والسلام ما من الله به على مريم، وما أكرمها به من رزقه الهنيء الذي أتاها بغير سعي منها ولا كسب، طمعت نفسه بالولد"[٢] قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

ولما كان حاله حال من لا يرجى له الولد لكبر سنه وأن زوجته عاقر، – مع كل هذا – استجاب الله دعاءه، فقال زكريا عليه الصلاة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص١٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص١٢٨.

والسلام:﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾[آل عمران٤٠]، وقال في موضع آخر: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾[مريم٨].

جاءه الجواب في بساطة ويسر، ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾[مريم٩] إنه: "يرد الأمر إلى نصابه. ويرده إلى حقيقته التي لا عسر في فهمها، ولا غرابة في كونه: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.. فالأمر مألوف مكرور معاد حين يرد إلى مشيئة الله وفعله الذي يتم دائماً على هذا النحو ولكن الناس لا يتفكرون في الطريقة، ولا يتدبرون الصنعة، ولا يستحضرون الحقيقة!"[(١)].

"فكما أنه تعالى قدر وجود الأولاد بالأسباب التي منها التناسل، فإذا أراد أن يوجدهم من غير ما سبب فعل، لأنه لا يستعصي عليه شيء"[(٢)]، "فالله تعالى لا يحتاج إلى سبب بل اللهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه أمر".

الثالث: لما جاءت البشرى لزكريا بالولد، قال استعجالا لهذا الأمر، وليحصل له كمال الطمأنينة.﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ [آل عمران٤١] أي: علامة على وجود الولد ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[آل عمران٤١] أي:

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٢/ ٣١٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص١٢٩.

"ينحبس لسانك عن كلامهم من غير آفة ولا سوء، فلا تقدر إلا على الإشارة والرمز، وهذا آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام، وفيه مناسبة عجيبة، وهي أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها، فإنه يوجدها بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره، فامتنع من الكلام ثلاثة أيام"(١).

٤ - تربيته على التواضع:

ومن ثمرة هذه التربية أن أثنى الله على يحيى بقوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[مريم١٤]، فرباه الله تعالى: "فلم يكن متجبراً متكبراً عن عبادة الله، ولا مترفعا على عباد الله، ولا على والديه، بل كان متواضعا، متذللا مطيعا، أوابا لله على الدوام، فجمع بين القيام بحق الله، وحق خلقه"(٢).

٥ - تربيته على الحنان:

قال تعالى مثنيا على يحيى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾[مريم١٣] "قولان: أحدهما: قال: تعطف الله عز وجل عليه بالرحمة والقول الآخر ما أعطيه من رحمة الناس حتى يخلصهم من الكفر والشرك"(٣).

"آتاه الحنان هبة لدنِّية لا يتكلفه ولا يتعلمه؛ إنما هو مطبوع عليه ومطبوع به. والحنان صفة ضرورية للنبي المكلف برعاية القلوب والنفوس، وتأليفها واجتذابها إلى الخير في رفق".

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص١٢٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٩١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ٨٧.

٦ - رزقه الطهارة والعفة:

قال تعالى مثنيا على يحيى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾[مريم١٣] فقوله: ﴿وَزَكَوٰةً﴾ أي: "طهر قلبه وتزكى عقله، وذلك يتضمن زوال الأوصاف المذمومة، والأخلاق الرديئة، وزيادة الأخلاق الحسنة، والأوصاف المحمودة"(١)، "فآتاه الطهارة والعفة ونظافة القلب والطبع؛ يواجه بها أدران القلوب ودنس النفوس، فيطهرها ويزكيه".

٧ - رزقه السلامة والإسلام:

إن السلام والإسلام من حفظ الله تعالى للعبد ولذلك «حصلت له السلامة من الله، في جميع أحواله، مبادئها وعواقبها، قال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم١٥] "وذلك يقتضي سلامته من الشيطان، والشر، والعقاب في هذه الأحوال الثلاثة وما بينها، وأنه سالم من النار والأهوال، وأنه من أهل دار السلام، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى والده وعلى سائر المرسلين، وجعلنا من أتباعهم، إنه جواد كريم"(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٤٩٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٤٩١.

المطلب الثاني
الرعاية الأسرية لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله تعالى الأسرية لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام في النقاط التالية

١ - إصلاح زوجه والدة يحى:

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠].

"فبعدما كانت عاقر لا يصلح رحمها للولادة، أصلح الله رحمها للحمل لأجل نبيه زكريا"[(١)]، وأصلحها كذلك بأن جعلها امرأة عابدة لله.

٢ - إشباع رغبة الأبوة:

لقد استجاب الله لزكريا عليه الصلاة والسلام دعاءه، ورزقه بالولد الصالح الذي يرث دعوته وعلمه. ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾[الأنبياء٩٠].

٣ - توفيق الله لزكريا بحسن الدعاء بالذرية الصالحة:

قال تعالى:﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم٦] أي: "لا جبارا ولا غليظا، ولا متبطرا ولا طموعا. ولفظة «رضي» تلقي هذه الظلال. فالرضي الذي يرضى ويرضي. وينشر ظلال الرضى فيما حوله ومن حوله".

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٥٣٠.

"أي: عبدا صالحا ترضاه وتحببه إلى عبادك، مرضيا عند الله وعند خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده، أن يرزقه ولدا صالحا، جامعا لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم"(١).

٤ - جعل الله يحيى باراً بوالديه:

رزق الله تعالى زكريا بيحيى غلاماً باراً بوالديه، قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]. "كان برا بوالديه، مسارعا في طاعتهما ومحبتهما، غير عاق بهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ أي: لم يكن مستكبرا عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعا متذللا يأتمر لما أمر به، وينتهي عما نهي عنه، لا يعصي ربه، ولا والديه"(٢).

المطلب الثالث
الرعاية الدعوية
لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله تعالى الدعوية لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - حرصه على ذرية تخلفه في دعوته:

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم٥ - ٦].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨٩.

(٢) جامع البيان للطبري ١٨/ ١٦٠.

فقد علّم الله تعالى زكريا علما ورثه من أجداده الأنبياء، وأراد أن يرزقه الله بالولد كي يرث هذا العلم وينشره للناس، فقد "سأله نسلاً يورِّثه علمَه، لا من يورِّثه مالَه، فأعراض الدنيا أهون عند الأنبياء من أن يشفقوا عليها!"(١).

وهنا استجاب الله دعاءه ورزقه بيحيى عليه الصلاة والسلام، وكان من أول التوجيهات التي تلقاها يحيى من الله تعالى كان توجيها للعلم والتعلم والجد فيه، ليرضي ربه ووالده وتستمر دعوته، فقال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم١٢] فقد أمر الله تعالى يحيى من صغره أن يحرص ويجتهد في طلب العلم وأن يأخذه بقوة. قال ابن سعدي: "أمره الله أن يأخذ الكتاب بقوة، أي: بجد واجتهاد، وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه، وفهم معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه، هذا تمام أخذ الكتاب بقوة، فامتثل أمر ربه"(٢).

فقد "نودي ليحمل العبء وينهض بالأمانة في قوة وعزم، لا يضعف ولا يتهاون ولا يتراجع عن تكاليف الوراثة".

فقد كانت نفس زكريا عليه الصلاة والسلام تشتاق، لأنه "خاف أن لا يقوم أحد بعده مقامه في الدعوة إلى الله والنصح لعباد الله، وأن يكون في وقته فرداً ولا يخلف من يشفعه ويعينه"(٣).

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص١٧٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٩٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٥٣٠.

فزكريا عليه الصلاة والسلام يطلب الولي الصالح، الذي يحسن الوراثة، ويحسن القيام على تراثه وتراث النبوة من آبائه وأجداده، لأنه يخشى من بعده. يخشاهم ألا يقوموا على تراثه بما يرضاه. وتراثه هو دعوته التي يقوم عليها، وأهله الذين يرعاهم. وماله الذي يحسن تدبيره وإنفاقه في وجهه. وهو يخشى الموالي من ورائه على هذا التراث كله، ويخشى ألا يسيروا فيه سيرته»[١] وهذا الحرص من زكريا عليه الصلاة والسلام يشير للهم الدعوي الذي غرسه الله تعالى في قلبه.

٢ - حرص زكريا على إبلاغ دعوته بكل وسيلة:

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[مريم١١].

فقد "حُبس زكريا عن الكلام، فدعا بالإشارة. فالداعية لا يتوقف.. إن أُغلقَ في وجههِ بابٌ، فَتَحَ بابًا آخر!» وعلى هذا رباه ربه جل وعلا"[٢].

٣ - إصلاح يحيى واصطفائه نبياً:

أصلح الله له ولده وجعله نبياً يرث الدعوة ويساعد أباه في نشرها، قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[آل عمران٣٩].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٥٣٠.

(٢) من تدبرات الشيخ محمد الغرير – مجموعة ليدبروا آياته.

٤ - أعطى الله تعالى يحيى الحكم وهو صبي:

قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾ [مريم١٢] "قال المفسرون: أعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه"(١)، أي: "أي فهم التوراة والعلم والاجتهاد في الخير"(٢).

قال معمر بن راشد: "بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب، قال: ما للعب خلقت! اللعب ليس محرمًا على الإطلاق؛ لكنَّ من نعم الله على العبد أن يدرك علة خلقه مبكِّرًا"(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ٥٥.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٨٨.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٨/ ١٥٥، وابن أبي حاتم في التفسير ٧/ ٢٤٠٠، والسيوطي في الدر المنثور ٢٢/ ١٠.

الفصل الثالث
رعاية الله لأتباع الأنبياء والرسل
في طلب العلم وتعليمه

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: قصة مؤمن آل فرعون.

المبحث الثاني: قصة موسى والخضر.

المبحث الثالث: قصة الغلام والساحر والراهب.

المبحث الرابع: قصة أصحاب الكهف.

المبحث الأول

قصة مؤمن آل فرعون

في هذا المبحث سنتطرق إلى أثر رعاية الله تعالى لأتباع الأنبياء عليهم السلام، وقصة مؤمن آل فرعون تمثل أنموذجا للرعاية الإلهية لطلاب العلم، ونشهد هذا من آثار تلك الرعاية؛ فما وصل مؤمن آل فرعون لهذا الوعي إلا نتاج تربية واعية، الله وحده أعلم كيف تمت في تلك الظروف التي كان تمر بها دعوة موسى عليه الصلاة والسلام.

وسنبرز هذا الأمر من خلال مطلبين:

المطلب الأول

عرض قصة مؤمن آل فرعون من القرآن

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ
لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ
مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ
ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى
صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ
عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ
﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ
ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ
هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ
عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا
لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى
لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى
ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا
وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟
وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [غافر: ٢٨ – ٤٥].

المطلب الثاني

عرض قصة مؤمن آل فرعون باختصار

اختلف العلماء في اسم مؤمن آل فرعون، والمعروف عنه أنه كان من آل فرعون، حتى قيل إنه ابن عم فرعون وكان مؤمنا بالله تعالى وبرسالة موسى عليه الصلاة والسلام ولكنه كان يكتم إيمانه، ولم يكن إسرائيلياً، فإن فرعون قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله، ولو كان إسرائيلياً لكان حريا أن يعاجل فرعون بالعقوبة على قوله، ولكنه لما كان من ملأ قومه، استمع قوله، وكف عما كان همَّ به في موسى(١).

وقد أعلى الله ذكر هذا الرجل المؤمن حيث سجل موقفه في كتاب يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[غافر٢٨].

أي: "قال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، مقبحًا فعل قومه، وشناعة ما عزموا عليه: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ أي: كيف تستحلون قتله، وهذا ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، ولم يكن أيضا قولا مجردًا عن البينات، ولهذا

(١) جامع البيان للطبري ٢١/ ٣٧٦.

قال: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهارًا علم به الصغير والكبير، أي: فهذا لا يوجب قتله.

فهلا أبطلتم قبل ذلك ما جاء به من الحق، وقابلتم البرهان ببرهان يرده، ثم بعد ذلك نظرتم: هل يحل قتله إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا؟ فأما وقد ظهرت حجته، واستعلى برهانه، فبينكم وبين حل قتله مفاوز تنقطع بها أعناق المطايا.

ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل، بأي حالة قدرت، فقال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ أي: موسى بين أمرين، إما كاذب في دعواه أو صادق فيها، فإن كان كاذبًا فكذبه عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك ضرر حيث امتنعتم من إجابته وتصديقه، وإن كان صادقًا وقد جاءكم بالبينات، وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذابًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة، فإنه لا بد أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو عذاب الدنيا.

وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائرًا بين تينك الحالتين، وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهل منكم.

ثم انتقل ﷺ وأرضاه وغفر له ورحمه - إلى أمر أعلى من ذلك، وبيان قرب موسى من الحق فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ

﴿كَذَّابٌ﴾ أي: متجاوز الحد بترك الحق والإقبال على الباطل.

﴿كَذَّابٌ﴾ بنسبته ما أسرف فيه إلى الله، فهذا لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله ولا في دليله، ولا يوفق للصراط المستقيم، أي: وقد رأيتم ما دعا موسى إليه من الحق، وما هداه الله إلى بيانه من البراهين العقلية والخوارق السماوية، فالذي اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفًا ولا كاذبًا، **وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه**"[1].

المطلب الثالث
فوائد منهجية في رعاية طلاب العلم من خلال القصة

يظهر لنا من قصة مؤمن آل فرعون رعاية موسى عليه الصلاة والسلام لطلبة العلم الذين عنده **من الناحية الأمنية ومن الناحية التربوية والعلمية** دروسٌ كثيرة ومنها:

١ - **قد كان هذا الرجل يتعلم**، ويدل على ذلك ما جاء في نصيحته لهم ومعرفته بالبينات وبالرسل من قبل، وعاقبة كل أمة.. وترغيبهم وترهيبهم. كما في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٧٣٧.

فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر: ٢٩ - ٣٤].

٢ - وظهر أنه عندما كان يتعلم من موسى عليه الصلاة والسلام وكان لا يعلم عنه أحد مع أنه كان من المقربين لفرعون ومن عشيرة فرعون[١]، ولذلك قال الله عنه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ فقد تعلم أن "للإنسان، إذا عم الطغيان، أن يسكن بين أهل العدوان، إذا نصح بحسب الإمكان»[٢].

٣ - وتظهر الرعاية التربوية لهذا الطالب المؤمن الذي يكتم إيمانه أنه عندما جاء وقت الدفاع عن الدعوة وعن معلمه وإخوانه المؤمنين بموسى عليه الصلاة والسلام قال كلمات يدافع بها عنهم، فهو قد تربى أنه **لا مجال للسكوت في وقت يكون فيه السكوت خطراً على الداعية والدعوة**، قد تربي على أن لكل شيء أوانه ووقته، فلم يكن مستعجلاً ولا متخاذلاً.

٤ - وفي قوله: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ "ضرب من إيهام الشك في صدق موسى ليكون كلامه مشتملاً على احتمالَيْ

(١) يمكن أن يكون قد التقى بموسى ليتعلم منه أو تعلم منه بطريق غير مباشر.. وهذا أمر مستنبط بالمفهوم.. وهو واقعي جدا.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٦/ ٥٠٧.

تصديق وتكذيب يتداولهما في كلامه فلا يؤخذ عليه أنه مصدق لموسى بل يُخيل إليهم أنه في حالة نظر وتأمل ليسوق فرعون وملأَه إلى أدلة صدق موسى بوجه لا يثير نفورهم"[١]. وهذا نوع من الوعي لا يدركه إلا من خضع لعناية وتربية خاصة.

٥ – وفي كون هذا الرجل المؤمن من شيعة وقوم فرعون في النسب والقومية ما يدل على أنه تربى على عبادة الله وإخلاص الطاعة له وقبول الحق والصواب ممن كان، ولو من القومية المعادية لقوميته والأنزل في الرتبة في مقاييس ذلك اليوم.

٦ – لقد غرس في قلب هذا الرجل الحرص على هداية الناس حيث قال لقومه: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ فهو "يشعرهم أن أمرهم يهمه، فهو واحد منهم، ينتظر مصيره معهم وهو إذن ناصح لهم مشفق عليهم، لعل هذا أن يجعلهم ينظرون إلى تحذيره باهتمام، ويأخذونه مأخذ البراءة والإخلاص".

٧ – لقد تعلم وتأصل لديه جيداً أن الحق هو ما بان عليه الدليل ووافقه العقل السليم، لا مجرد الدعاوى والزخارف القولية وقوة الجبروت والظلم والطغيان، كما وضحها في احتجاجه واستدلاله، كما في قوله: ﴿ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾ وقوله: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٤/ ١٣٠.

المبحث الثاني

قصة موسى والخضر

قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر الرجل الصالح العلم، ورحلته إليه في طلب العلم تمثل عدداً من الجوانب في رعاية طلاب العلم من نواحي كثيرة، ومنها: رعاية طالب العلم لنفسه، ورعاية المعلم لطالب العلم، وأدب طالب العلم مع العلم ومع المعلم الذي يعلمه.

وهي معالم يسترشد بها المربون والمعلمون وحتى طلاب العلم في مسيرة التربية والتعليم، وإعداد وتخريج القادة والمؤثرين. وسنبرز هذه الجوانب من خلال ثلاث مطالب:

المطلب الأول

عرض قصة موسى والخضر من القرآن

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ

مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ
رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ
تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا
﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾
فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ
جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا
تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا
غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾
۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن
شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ
أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن
يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي
وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ
لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ
سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا
طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا
وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا
رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا
﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف ٦٠ - ٨٢].

المطلب الثاني
معنى الآيات إجمالًا

"يخبر تعالى عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام وشدة رغبته في الخير وطلب العلم أنه قال لخادمه الذي يلازمه في حضره وسفره: لا أزال مسافراً وإن طالت عليَّ الشقة ولحقتني المشقة حتى أصل إلى المكان الذي أوحى الله إلي أني سأجد عنده عبداً من عباد الله العالمين عنده من العلم ما ليس عندي.

وكان معهما حوت يتزودان منه ويأكلان، وقد وُعِد أنه متى فقد الحوت فثم ذلك العبد الذي قصدته، فاتخذ ذلك الحوت طريقه في البحر سربا وهذا من الآيات، قال المفسرون إن ذلك الحوت الذي كانا يتزودان منه، لما وصلا إلى ذلك المكان، أصابه بلل البحر، فانسرب بإذن الله في البحر، وصار مع حيواناته حيا، فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين، قال موسى لفتاه لقد تعبنا من هذا السفر.

وكان عند موسى وعد من الله أنه إذا فقد الحوت، وجد الخضر فرجعا يقصان أثرهما إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت فلما وصلا إليه، وجدا عبداً من عباد الله، وهو الخَضِر، وكان عبداً صالحاً، لا نبيا على الصحيح، أعطاه الله رحمة خاصة به، زاد علمه وحسن عمله، فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله، به أسترشد وأهتدي،

فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك، ولكنك لا تقدر على اتباعي وملازمتي، لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر، وباطنها غير ذلك.

فقال موسى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ﴾ وهذا عزم منه، قبل أن يوجد الشيء الممتحن به، والعزم شيء، ووجود الصبر شيء آخر، فحينئذ قال له الخضر: لا تبتدئني بسؤالٍ منك وإنكارٍ، حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، في الوقت الذي ينبغي إخبارك به، فنهاه عن سؤاله، ووعده أن يوقفه على حقيقة الأمر.

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾: اقتلع الخضر منها لوحاً، وكان له مقصود في ذلك، سيبينه، فلم يصبر موسى عليه الصلاة والسلام، لأن ظاهره أنه منكر، قال موسى ﴿ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرًا ﴾ عظيماً شنيعاً، فقال له الخضر ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا ﴾ أي: فوقع كما أخبرتك، وكان هذا من موسى عليه الصلاة والسلام نسياناً فقال: لا تعسر علي الأمر، واسمح لي، فإن ذلك وقع على وجه النسيان، فلا تؤاخذني في أول مرة. فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر.

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ ﴾ الخضر، فاشتد بموسى الغضب، وأخذته الحمية، حين قتل غلاماً صغيراً لم يذنب. ﴿ قَالَ

﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ وأي: نكر مثل قتل الصغير، الذي ليس عليه ذنب. فقال له الخضر معاتبا ومذكراً: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ فقال موسى: ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ﴾ فأنت معذور بذلك، وبترك صحبتي ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ أي: أعذرت مني، ولم تقصر، فكان هذا من موسى عليه الصلاة والسلام شرطاً.

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ قد عاب واستهدم ﴿ فَأَقَامَهُۥ ﴾ الخضر أي: بناه وأعاده جديداً. فقال له موسى ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ أي: أهل هذه القرية، لم يضيفونا مع وجوب ذلك عليهم، وأنت تبنيه من دون أجرة؟ فكان الأولى بك أن لا تبنيه لهم إلا بمقابل لحاجتك وعدم إحسانهم إليك.

فحينئذ لم يفِ موسى عليه الصلاة والسلام بما شرط على نفسه، واستعذر الخضر منه، فقال له: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ فإنك شرطت ذلك على نفسك، فلم يبق الآن عذر، ولا موضع للصحبة، ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ أي: سأخبرك بما أنكرت عليَّ، وأنبئك بما لي في ذلك من المآرب، وما يؤول إليه الأمر.

١ - ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ ﴾ ويقتضي ذلك الرقة عليهم، والرأفة بهم. ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ فكان مرورهم على ذلك الملك الظالم، وكل سفينة صالحة تمر عليه ما فيها عيب غصبها وأخذها ظلما، فأردت أن أخرقها ليكون فيها عيب، فتسلم من ذلك الظالم.

٢ - ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ وكان ذلك الغلام قد قُدِّر عليه أنه لو بَلَغَ لحمل أبويه على الطغيان والكفر، فقتلته لاطلاعي على ذلك، سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأي فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة؟ وهو وإن كان فيه إساءة إليهما، وقطع لذريتهما في الظاهر، فإن الله تعالى سيعطيهما من الذرية، ما هو خير منه، وكل ذلك علم غيبي أطلع الله عليه الخضر لم يعلمه موسى عليه الصلاة والسلام.

٣ - ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ فحالهما تقتضي الرأفة بهما ورحمتهما، لكونهما صغيرين عُدِما أباهما، وحفظهما الله بصلاح والدهما، وهذا ما دعاني إلى الإشفاق عليهما والرعاية لمالهما بالسعي في حفظه عن الضياع. ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ فلهذا هدمت الجدار، واستخرجت ما تحته من كنزهما، وأعدته مجاناً.

﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ كل هذا الذي فعلته رحمة من الله، آتاها الله عبده الخضر ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ أي: ما أتيت شيئا من قبل نفسي، وإنما ذلك من رحمة الله وأمره»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨١ - ٤٨٣ باختصار وتصرف.

فأسند الأمر والقدر لله وحده، ونفى أن يكون هو الذي قدّره ولكنه رضي بالله رباً، فنفذ ما أمره الله به عن علم ويقين لا عن ظن وتخرُّص وتوقعات عقلية، ولما كانت هذه الأمور غيبية لم يطلع موسى عليها وظاهرها الفساد والخراب أنكرها موسى عليه الصلاة والسلام، ولم يصبر عليها، فرحمة الله على موسى عليه الصلاة والسلام إذ كان ممتثلاً لأمر ربه، ورحمة الله على الخضر ﷺ إذ كان ممتثلاً لأمر ربه.

المطلب الثالث
الفوائد المستنبطة من القصة

١ - دعاء موسى الله تعالى التيسير في الوصول للعلم وأخذه والرحلة من أجله:

فموسى عليه الصلاة والسلام دعا الله لكي ييسر له السبيل إلى العلم ويهديه الطريق إليه، فعن أبي بن كعب ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يذكر شأنه يقول: ((**بينما موسى في ملأ من بنى إسرائيل، إذ جاءه رجل فقال أتعلم أحدا أعلم منك قال موسى لا. فأوحى الله عز وجل إلى موسى بلى، عبدنا خضر، فسأل السبيل إلى لقيه، فجعل الله له الحوت آية، وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع، فإنك ستلقاه، فكان موسى - ﷺ - يتبع أثر الحوت في البحر. فقال فتى موسى لموسى أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره. قال موسى ذلك ما كنا نبغي. فارتدا على آثارهما قصصا، فوجدا خضرا، فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه**))[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم (٧٨)،

٢ - فضيلة العلم، والرحلة في طلبه وأنه أهم الأمور:

"فإن موسى عليه الصلاة والسلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك، قال ابن حجر ﷺ عند ذكر هذا الحديث: "وفي الحديث جواز ركوب البحر في طلب العلم بل في طلب الاستكثار منه"[١].

لقد عَلَّم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام عِلماً وعَلَّم الخضر علماً، فرحل موسى إلى الخضر ليتعلم منه عندما عَلِم موسى عليه الصلاة والسلام أن عند الخضر علماً لا يعلمه، فموسى لم يتكبر أن يتعلم من الخضر الذي هو أقل منه منزلة، والخضر لم يرفض طلب موسى بل بَيَّن له مخاطر الطلب والمنهجية التي لا بد أن يسير عليها في طلبه لذلك العلم منه.

٣ - "أخذ الخادم في الحضر والسفر لكفاية المؤن، وطلب الراحة:

كما فعل موسى عليه الصلاة والسلام"[٢] فطالب العلم يحتاج إلى من يخدمه ويكفل له المؤنة لكي يتفرغ للطلب، وليستفيد من قُوَّته ووقته في الطلب.

٤ - تحمل المشاق في الرحلة لطلب العلم:

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الباب: "هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم، لأن ما يغتبط به تتحمل المشقة فيه"[٣].

ومسلم في كتاب الفضائل باب فضائل الخضر (٢٨٣٠).

(١) فتح الباري لابن حجر ١/ ٢٠٤ باختصار.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨٣.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١/ ٢٠٢.

٥ - كل ما أمر الله به لا مشقة فيه ولا نصب:

فإذا تجاوز الإنسان حدود ما أمر الله تعالى كانت المشقة والنصب، ولو كان المأمور به مكاناً جغرافيا، فموسى وفتاه لما شعرا بالنصب إلا بعد أن جاوزا، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ وعلى هذا لا بد أن يُربى طلاب العلم.

٦ - أن يضع الطالب لنفسه هدفاً من رحلته ويجد في طلبه:

الذي يظهر – والله أعلم – أن هدف موسى من رحلته هذه هو ما أوضح عنه بعد لقياه الخضر بقوله: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ فطلب العلم الذي هو من تعليم الله له وأن يكون مما ينفعه ويرشده للصراط المستقيم.

فإنه كان لموسى عليه الصلاة والسلام هدف من رحلته هذه التي اعتزمها، وأنه كان يقصد من ورائها أمراً، فهو يعلن تصميمه على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة، ومهما يكن الزمن الذي ينفقه في الوصول. وهو يعبر عن هذا التصميم بما ذكره القرآن من قوله: ﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ والحقب قيل عام، وقيل ثمانون عاماً. وعلى أية حال فهو تعبير عن التصميم، لا عن المدة على وجه التحديد.

٧ - الأدب في الحديث مع العلماء:

فإن موسى عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ "فأخرج الكلام بصورة الملاطفة

والمشاورة، وأنك هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء والكبر، الذين لا يظهرون للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يدعي أحدهم أنه يتعاون هم وإياه، بل ربما ظن أنه يُعَلِّم معلمه، وهو جاهل، فالتواضع للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم"[١].

٨ - إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى والإقرار بذلك، وشكر الله:

وذلك في قوله: ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦]، أي مما علّمك الله تعالى.

٩ - تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه:

فإن موسى عليه الصلاة والسلام - بلا شك - أفضل من الخضر ﷺ، قال ابن حجر: "ولأن موسى عليه الصلاة والسلام لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البحر لأجله.." إلى أن قال: "وفي الحديث لزوم التواضع في كل حال، ولهذا حرص موسى على الالتقاء بالخضر، وطلب التعلم منه تعليماً لقومه أن يتأدبوا بأدبه، وتنبيهاً لمن زكى نفسه أن يسلك مسلك التواضع"[٢].

١٠ - حرص طالب العلم والمعلم على الاهتمام بالعلم النافع تعليماً وتعلماً:

وهو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك، فإمّا أن يكون ضاراً، أو ليس فيه فائدة لقوله: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾[٣] وهو مضيعة للوقت والجهد.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨٤.

(٢) فتح الباري ١/ ٢٠٢ - ٢٠٤.

(٣) تيسير اللطيف المنان ٢٥٧.

١١ - توضيح العلماء لطلابهم صعوبة الصبر على العلم وصعوبة تلقي العلم:

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ فعلم الخضر ليس هو العلم البشري الواضح الأسباب القريب النتائج، ومن ثم فلا طاقة لموسى بالصبر على الخضر وتصرفاته، لأن هذه التصرفات حسب ظاهرها قد تصطدم بالمنطق العقلي، وبالأحكام الظاهرة، ولا بد من إدراك ما وراءها من الحكمة المغيبة؛ وإلا بقيت عجيبة تثير الاستنكار، لذلك يخشى العبد الصالح الذي أوتي العلم على موسى ألا يصبر على صحبته.

١٢ - العزم على الصبر والطاعة في سبيل تلقي العلم والاستعانة بالله:

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ "أن من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، أنه يفوته بحسب عدم صبره كثيرٌ من العلم. فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه، لقول الخضر - يعتذر عن موسى بذكر المانع لموسى في الأخذ عنه - إنه لا يصبر معه"[١].

١٣ - جواز وضع العالم شروطاً لمن يأتي لطلب العلم:

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾، فاشترط الخضر على موسى شرطاً، واضحاً بيناً لِيحصُلَ له علمٌ مما علمه الله الخضر.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨٤.

والتربية الحديثة تطلق على هذا الأمر التعليم التعاقدي، أو عقد التعلم، وذلك لأجل أن يكون التعليم عملية نشطة وليست خاملة، بمشاركة المتعالم في عملية التعلم فيصبح مسؤولاً مستقلاً عن تعلمه.

١٤ - تعليم العلماء لطلابهم آداب الطلب والتخاطب مع العلماء:

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ وذلك لمعرفة الخضر أن ذلك لا يناسب موسى عليه الصلاة والسلام فإنه إن انشغل بالسؤال ذهب عنه العلم بها.

١٥ - مراعاة المعلم مستوى المتعلم ووقت التعليم:

"وفي ذلك أن المعلم إذا رأى المصلحة في إيعازه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصراً، أو نهاه عن السؤال عن دقيق الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه، أو يسأل سؤالاً لا يتعلق بموضع البحث"[(١)].

١٦ - اهتمام المعلم بطلاب العلم:

وذلك بملازمته طلابه، وأخذهم معه لكي يتعلموا منه كل شيء كما قال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ ﴾ ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا ﴾ ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾

١٧ - الأمر بالتأني والتثبت:

وذلك بعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء حتى يعرف ما يراد منه وما هو مقصود، وذلك بإنكاره عليه أنه أنكر ولم ينتظر معرفة سبب فعل الخضر له، وقد بيَّن له مسبقاً أن ذلك السؤال غير متأت له، وضمن له معرفة الجواب بعد.

---

(١) مجلة البيان عدد ٦٢، مقال بعنوان: موسى بين يدي الخضرِ دروس في أدب الطلب للشيخ: خالد بن صالح السيف.

١٨ - صبر العالم وتلطفه بالطالب:

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ "فينبغي للعالم أن يأخذ من أخلاق طلابه ومعاملاتهم العَفْو منها، وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشق عليهم ويرهقهم، فإن هذا مدعاة إلى النفور منه والسآمة، بل يأخذ المتيسر ليتيسر له الأمر"(١).

١٩ - اعتذار الطالب وطلب المسامحة عند الخطأ:

وقد حصل ذلك من موسى عليه الصلاة والسلام بطيب نفس مع الاعتراف بالخطأ ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ فهول الأمر وتفاجؤ موسى عليه الصلاة والسلام أنساه الشرط وأعسر عليه الصبر والسكوت عما رآه في الظاهر خطأً.

٢٠ - عدم التعسير على الطلاب ومحاسبتهم عند أول خطأ:

بل ومحاولة إعطائهم عدة فرص والتماس العذر لهم، قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ أي: "لا تعسر علي الأمر واسمح لي، فإن ذلك وقع مني على وجه النسيان فلا تؤاخذني في أول مرة، فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيُّها الخضر الشدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر"(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨٤.

٢١ - تبيين المشكل من المعلم للطلاب:

وذلك لكي لا يظلوا في حيرة ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾، فوعد الخضر موسى عليه الصلاة والسلام أن يخبره بحال وحقيقة الأمر في المواضع الثلاثة التي أنكرها موسى عليه الصلاة والسلام لمخالفتها الظاهرة، وبينها له بعد انتهاء العقد بينهما وانفصال الأمر.

٢٢ - أن يكون المعلم قدوة للطالب في عمل الخير:

فالأعمال التي عملها الخضر هي عبارة عن أعمال خير وبر ومساعدة للناس. ورُوِيَ أنه "لما أراد موسى أن يفارق الخضر قال له موسى: أوصني. قال: كن نفَّاعاً، ولا تكن ضَرَّاراً، كن بشّاشاً، ولا تكن غضّاباً، ارجع عن اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تعير امرأ بخطيئته، وابك على خطيئتك يا ابن عمران"[(١)].

٢٣ - إعطاء تغذية راجعة للمتعلم:

فالخضر لم يترك موسى عليه الصلاة والسلام في حيرته، بل أوضح له كل ما مر به من خبرات بصورة تجعل موسى يتأمل فيها ويستخرج العبرة، خاصة وأن الخبرات الثلاث التي مر بها تشابه خبرات ثلاث أُخر مبرَّ بها بالفعل في حياته قبل مقابلة الخضر، فهو استنكر قتل الغلام مع أنه قتل رجلا عندما وكزه، واستغرب من كسر السفينة وهو قد كسر الألواح، واستغرب من بناء الجدار بدون أجر مع أنه قد سقى للبنتين من غير أجر.

٢٤ - تعليم الطالب التأدب في الخطاب:

لقد برز في القصة تعليم الطالب التأدب في الخطاب مع الله سبحانه وتعالى، ومن ثَّم مع كل من له مكانة وقدر: حيث إنَّ الخضر لم ينسب لله سبحانه وتعالى الشر مع أن الخير والشر من عند

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ١٤٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٢٩١، وابن أبي الدنيا في التوبة ص١٠٥ (٥٦)، وانظر الدر المنثور ٩/ ٦٢٣.

الله تعالى وذلك يتضح في النقاط التالية:

أ – ففي خرق السفينة قال: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ ولم يقل فأراد ربي مني أن أعيبها.

ب – وفي قتل الغلام قال: ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ فعندما أراد القتل قال: ﴿ فَخَشِينَآ .....فَأَرَدْنَآ ﴾ وعندما أراد التبديل بما هو خير قال: ﴿ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ ولم يقل أبدلهما أنا خيراً من ذلك الغلام.

ج – وفي إصلاح حال الغلامين واستخراج كنزهما، قال: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ فنسب الخير كله لله تعالى.

وهذا التوجيه وهذه الرعاية بطريقة غير مباشرة عن طريق القدوة، التي نحن في أشد الحاجة إليها في هذا الوقت لما نفتقده من قلة وجود القُدُوَات والإمامة في الخير.

٢٥ - أن مَن لا صبر له لا يدرك مطلبه:

فمَن ليس عنده قوة الصبر على صحبة العَالم والعِلم، وحُسن الثبات على ذلك ليس أهلاً لتلقِّي العلم؛ فمَن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه أدرك به كل أمرٍ سعى إليه؛ لقول الخضر: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾.

٢٦ - وجوب التأني عند الإنكار في المحتملات:

"فإن الذي فعله الخضر ليس في شيء مما يناقض الشرع، وإن نقض لوح من ألواح السفينة لدفع الظالم عن غصبها ثم إذا تركها أعيد اللوح جائز شرعاً وعقلاً ولكن مبادرة موسى بالإنكار بحسب الظاهر"[1].

(١) فتح الباري ١/ ٢٦٨.

المبحث الثالث
قصة الغلام والساحر والراهب

هذه القصة أنموذجاً من ثمرات العناية بطلاب العلم وخصوصا النجباء منهم، فنحن هنا مع طالب علم نجيب وصاحب همة عالية – يسر الله تعالى له من يقوم بالعناية به بجانب العناية الربانية –، فتنبه إليه معلم صاحب فراسة في طلاب العلم النجباء، قام المعلم بالرعاية والعناية به بمعية الله تعالى حتى وصل طالب العلم إلى درجة عالية في الدعوة والبيان فاق فيها معلمه..

وهنا سنقف على معالم تلك الرعاية وهذه التجربة الفريدة التي حفظ القرآن والسنة لنا بعض معالمها التي ستكون نبراسا في مجالات مختلفة من حياتنا وديننا ودعوتنا.

وسنبرز هذه المعالم في مطلبين:

المطلب الأول
ما ورد من القصة في القرآن والسنة

قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج٤ – ١٠].

عن صهيب الرومي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر. فبعث إليه غلاما يعلمه،**

فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أَعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي.

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام. فَجِيء بالغلام فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل.. وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك!! فأبى. فدعي بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه. ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك!! فأبى. فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع

شقاه. ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك!! فأبى. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا. وجاء يمشي إلى الملك: فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[١] فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا[٢].

وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله

---

(١) قرقور: بضم القافين وهي السفينة قيل الصغيرة وقيل الكبيرة. المنهاج ١٨/ ١٣١، الديباج ٦/ ٣٠٦.

(٢) أشكل على بعض الباحثين أن نجران لا بحر فيها. والجواب فيما قاله السهيلي في الروض الأنف ص٩٦: "فأرسله إلى مياه نجران، وهي بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك"، وهكذا قال ابن الأثير في الكامل في التاريخ ١/ ١٤٦، والقرطبي في جامعه ١٩/ ٢٩٢. ولا يستبعد أن يكون البحر هو الأحمر، لما ورد في كتب التاريخ عن علاقتهم بالحبشة وملوكها.

رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام. فأُتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس. فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه[1] فيها - أو قيل له: اقتحم - ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق))[2].

المطلب الثاني
الفوائد العملية من القصة

وفي دراسة الحديث الشريف يتضح الجهد الذي قام به طالب علم ومعلمه، نستنبط منها الفوائد العملية في رعاية طلاب العلم في النقاط التالية:

أولًا: قواعد للعلماء والمسؤولين عن رعاية طالب العلم:

١ - اهتمام العلماء بتوريث العلم:

يجب أن يكون هناك اهتمام من العلماء بتوريث العلم لطلاب العلم، فالناظر إلى بداية القصة يجد أن الساحر مع كفره وخطورة علمه على الناس وعلى الدين، كان حريصاً على أن يورث هذا العلم لكي لا ينقطع، فأخبر الملك بما يريد فأجابه.

---

(١) فأحموه: بهمزة قطع وحاء ساكنة أي: ارموه. وفي رواية بالقاف (فاقحموه) أي: اطرحوه كرها. المنهاج في شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/ ١٣٢، الديباج على مسلم للسيوطي ٦/ ٣٠٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (٣٠٠٥).

فكيف لو كان هذا العلم علماً شرعياً لكان أولى بأصحابه أن يورثوه ويهتموا بمن سيورثونهم هذا العلم، وقد جعل الله العلم من الأعمال التي لا تنقطع بموت صاحبها، قال عليه الصلاة والسلام **((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))**[1].

٢ - ابتعاث من يقوم بالعلم مع رعايته:

قبول الملك لطلب الساحر في ابتعاث غلام ليتعلم السحر من الساحر يبين ما يجب على المسؤولين في البلاد من التعاون بين العالم والمتعلم فلكل من العالم والمسؤول دور في نشر العلم، فدور المعلم التعليم والعناية بالمتعلم، ودور المسؤول هو العناية بالطالب وتقديم ما يحتاج إليه، وتهيئة الأسباب لذلك.

٣ - الاهتمام بالنجباء من الطلبة:

فإن اختيار العالم صغار السن والنجباء من الطلبة، أمرٌ لابد من العناية به، ليحسن تنشئتهم وتربيتهم على العلم المقدم لهم.

٤ - تفريغ الطلاب للعلم:

تفريغ الطلاب للعلم فقط، وكفايتهم ما يشغلهم عن طلبه، وتنميته والاهتمام به، فإن تفريغهم له حريٌّ بإتقانهم وفهمهم له، فالساحر قال للملك **((أرسل لي غلاماً أعلمه السحر))**.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (١٦٣١).

ثانياً: قواعد رعاية طالب العلم عند المعلم الصالح:

١ - أن يكون المعلم ذا تأثير في قلب المتعلم:

من العناية بطالب العلم أن يكون المعلم ذا كلام مؤثر في قلب المتعلم ولذا قال رسول الله ﷺ ((**فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه**))، ولو أن هذا الراهب لم يكن كلامه مؤثراً في قلب الطالب هل سيحصل بذلك تعلم وإعجاب وحضور دائم للدرس؟

ومع ذلك فإن الغلام كان يُضْرب من قبل أهله، ومن قبل الساحر عندما يتأخر عند الراهب، فكان يصبر ويتحمل المكاره في سبيل تعلم ما ينفعه.

٢ - تميز المعلم بالشفقة والرحمة لطلابه:

ليس من طبيعة أهل العلم أن يعملوا على أذية طلابهم، بل يجب أن يكون فيهم الشفقة والرحمة بطلابهم، فالراحمون يرحمهم الرحمن، وتأمل قول الراهب وهو يخاطب الغلام: ((**أي بني**)) بكل ما تعنيه الكلمة من عطف وحنان الأب على ولده.

بخلاف ذلك الساحر الذي يعلم الغلام السحر مع كفره وكفر ما يعلمه للغلام، إذ يوجد به قسوة وعدم رحمةٍ، بل ورَّثه نُفرةً من العلم وصاحبه، وكُرْهاً لذلك العلم الذي لا يحث صاحبه والعامل به على الرحمة بالناس وبالطلبة خصوصاً.

ولا غرابة في ذلك لأن العلم الذي لا يحث صاحبه على العمل بالحق والرحمة بالخلق - لا سيما طلابه - جديرٌ بأن يُكره ويُنبذ.

٣ - دور المعلم في خلق ثقة طلابه به:

إن دور المعلم ليس نفث المعلومات فقط، وإنّما زرع الثقة في طلابه، فماذا يفعل هذا الطالب في المشكلة التي تحصل له كل يوم؟ إنه

ذهب إلى من يثق به ويعلم أن عنده الحل لمشكلته، إنه معلمه الراهب، فإن الطالب إذا أحس باهتمام من شيخه عرض عليه ما يعتريه من مشكلات خاصة به، أو مشكلات تتعلق بطلبه للعلم، أو العمل به.

٤ - العناية بإزالة العقبات التي تمنع طالب العلم:

ويأتي دور الشيخ في العناية بإزالة العقبات التي تمنع طالب العلم من السير في الطريق الحق، يقترح على طالبه حلاً لمشكلته قبل أن تتطور المشكلة ويذهب طالب العلم عنه.

فقال الراهب للغلام الطالب: ((**إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر**))، وهكذا يخرج الراهب الغلام من مشكلته بفقهٍ بالحق وبواقع طلابه.

٥ - أن يعرض فعله على شيخه ليصوبه:

ثم يأتي موقف آخر يلجأ الغلام لمعلمه ليعرف منه حقيقة الأمر، فهو اقتنع بثقته بمعلمه والحق الذي معه وهو موقف الدابة، التي سدت على الناس الطريق، وأبعدها هو بقوله: ((**اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة**)) ورماها بحجر فقتلها ومضى الناس، فيعرض فعله على شيخه ليصوبه إن كان خاطئاً؛ فيكون الجواب: ((**أي بني أنت اليوم أفضل مني**)).

٦ - أن يبين له الواقع وحقيقة الطريق:

ويأتي الدور الآخر من عناية المعلم بتلميذه وهو أن يبين له الواقع ويبين له حقيقة الطريق الذي سلكه، لقد سلك الغلام طريق العلم الحق الذي يأمره بأن يدعو إليه لا يعلمه فقط، فيتنقل المعلم بطالبه من ميدان التعلم إلى ميدان العمل والدعوة بما تعلم، وأن هذا الطريق شاق وكله ابتلاءات، فيحتاج إلى صبر وعزيمة.

أتى الغلام الراهب فأخبره فقال له الراهب: ((**أي بني؛ أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي**)).

٧ – أن يبين له تفوقه ويشجعه:

من رعاية المعلم لتلميذه أن يبين له تفوقه حتى ولو كان تفوقه ذلك يفوق معلمه لأن المعلم الحق هو الذي يحب لطالبه ما يحب لنفسه أو أكثر لأنه لا يتعلم أمراً من أمور الدنيا يتنافس فيه أهل الدنيا وإنما هو يتعلم علم الدنيا والآخرة الذي سيستمر أجره إلى يوم القيامة ((**أي بني؛ أنت اليوم أفضل مني**)).

٨ – أن يكون قدوة لطالبه بالعمل:

على المعلم أن يكون قدوة لطالبه بالعمل بما يعلمه لطالبه فهذا الراهب يقتل من أجل هذا الدين فقد جاء في القصة ((**فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدُعي بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شِقَّاه**))، ولاحظ أن تلميذه ينظر إليه.

ونتيجة لتلك التربية القولية والعملية، وقف الغلام أمام الملك وصدع بكلمة الحق ولم يثنه عن دينه ودعوة الناس رغم تلك التهديدات، بل صبر عليها الغلام فكانت علامةً واضحة على صدقه.

فمن أجل نشر دين الله تعالى وهداية الناس قدم الغلام نفسه لله تعالى، اقتداءً بشيخه ومعلمه الراهب، فآمن كل الناس، فهذه هي نتيجة الاعتناء والتربية والصبر على تعليم وتربية طلاب العلم.

المبحث الرابع
قصة أصحاب الكهف

إنها قصة تبرز فيها رعاية طلاب العلم بعضهم لبعض، وهذا جانب مهم في حياة طلاب العلم، وسنبرز هذا الأمر من خلال مطلبين:

المطلب الأول
عرض إجمالي لقصة أصحاب الكهف

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ [الكهف٩ - ١٠].

"قصة هؤلاء الشباب، أنهم دخلوا إِلَى كَهْفِ يريدون بذلك التحصن والتحرز من فتنة قومهم لهم:﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي تثبتنا بها وتحفظنا من الشر، وتوفقنا للخير﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي: يسر لنا كل سبب موصل إلى الرشد، وأصلح لنا أمر ديننا ودنيانا، فجمعوا بين السعي والفرار من الفتنة، إلى محل يمكن الاستخفاء فيه، وبين تضرعهم وسؤالهم لله تيسير أمورهم، وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق، فلذلك استجاب الله دعاءهم، وقيض لهم ما لم يكن في حسابهم"[(١)].

قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣﴾[الكهف١٣].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٧١.

أي: "آمَنُوا بالله وحده لا شريك له من دون قومهم، فشكر الله لهم إيمانهم، فزادهم هدى، أي: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان، زادهم الله من الهدى، **الذي هو العلم النافع**، والعمل الصالح"[١].

فهؤلاء ذهبوا يطلبون الحق والخير في أمور دينهم ودنياهم، وتعاونوا على ذلك، ورعى كل واحد منهم أخاه في هذه الرحلة التي جعلوها لله.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾[الكهف ١٩].

"ثم إنهم لما تساءلوا بينهم، وجرى منهم ما أخبر الله به، أرسلوا أحدهم بورقهم، أي: بالدراهم، التي كانت معهم، ليشتري لهم طعاما يأكلونه، من المدينة التي خرجوا منها، وأمروه أن يتخير من الطعام أزكاه، أي: أطيبه وألذه، وأن يتلطف في ذهابه وشرائه وإيابه، وأن يختفي في ذلك، ويخفي حال إخوانه، ولا يشعرن بهم أحدا. وذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم، وظهورهم عليهم، أنهم بين أمرين، إما الرجم بالحجارة، فيقتلونهم أشنع قتلة، لحنقهم عليهم وعلى دينهم، وإما أن يفتنوهم عن دينهم، ويَرُدُّوْهُم في ملتهم، وفي هذه الحال، لا يفلحون أبدا، بل يخسرون في دينهم ودنياهم وأخراهم"[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ٤٧٣.

المطلب الثاني
فوائد في رعاية طلاب العلم من قصة أصحاب الكهف

ومن هنا يمكن استخراج بعض الفوائد من الآيات في رعاية طلاب العلم:

١) لفت النظر إلى الاهتمام بالشباب فهم عماد الدعوة ومستقبلها قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ "فالشبان أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ"[(١)].

٢) طالب العلم لا يخلو من طلب اللجوء لله تعالى في كل أحواله، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ مع أنهم هاجروا وهربوا بدينهم من الكفر وأهله.

٣) أن العلم والإيمان طريق طويل لكن الله تعالى يهيؤه وييسره لمن سلك سبيله، قال تعالى: ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.

٤) أهمية الهجرة والرحلة في سبيل الحق والعمل بالعلم ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

٥) التعاون والتدارس في تحصيل العلم وفي العمل به، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾.

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٤/ ٤٤٨.

٦) تثبيت بعضهم بعضاً في البلاء، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾.

٧) تربيتهم على حسن التوكل على الله، قال تعالى: ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾.

٨) الاهتمام بالجانب الصحي، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ "أي: حفظهم الله من الشمس فيسر لهم غارا إذا طلعت الشمس تميل عنه يمينا، وعند غروبها تميل عنه شمالا فلا ينالهم حرها فتفسد أبدانهم بها،: ﴿وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُ﴾ أي: من الكهف أي: مكان متسع، وذلك ليطرقهم الهواء والنسيم، ويزول عنهم الوخم والتأذي بالمكان الضيق، خصوصا مع طول المكث"[1].

٩) الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل ذلك، قال تعالى﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ﴾[الكهف١٩].

١٠) التعاون فيما بينهم في تحصيل الرزق قال تعالى:﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٧٢.

١١) حث هؤلاء الذي يطلبون الحق بعضهم بعضا على أكل الطيبات من الطعام، كما ذكر الله عن قولهم: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾[الكهف١٩].

١٢) ترك الجدال فيما لا ينفع، قال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾[الكهف١٩].

١٣) حسن الأدب مع الله تعالى حيث وكلوا العلم لله وحده قال تعالى:﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾[الكهف١٩].

١٤) الاهتمام بالجانب الأمني "والحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين"[(١)].

قال تعالى: ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾. [الكهف٢٠].

١٥) أن التوكل لا ينافي أخذ الأسباب بل هي منه، فهؤلاء صحبوا كلبهم ونفقتهم، وأخذوا حذرهم مع توكلهم على الله تعالى.

وأخيرا في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ [الكهف: ٩]، إشارة إلى أهمية تسجيل قصص السابقين لما فيها من عبرة وعظة، فالرقيم هو اللوح الذي سجلت عليه قصتهم.

(١) المصدر السابق ٤٧٢.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

فهذه لمحة موجزة في رعاية الله لأنبيائه وأتباعهم التي ذكرها الله لنا في القرآن، وتبين لنا فيها أهم مقومات هذا المنهج الرباني الفريد في رعاية طلاب العلم، والذي ظهر أثره في ثلة من الأنبياء جعل الله منهم منارات يهتدى بها في ميدان العلم والعمل والدعوة والصبر على ذلك كله.

وتبين لنا الأدوار التي يجب أن يقوم بها كل فرد من أفراد المجتمع لمواصلة المسيرة، سيرا على الهدي الرباني في رعاية طلاب العلم وما تحتاجه تلك المسيرة من الاهتمام.

أولا: نتائج البحث:

ويمكن بيان نتائج هذا البحث في النقاط التالية:

١. أهمية رعاية طلاب العلم، حيث إنَّ الله عز وجل تكفل برعاية وتربية أنبيائه وصنعهم على عينه، وكانوا تحت معيته يوجههم ويربيهم ويحفظم وييسر لهم أمورهم الاجتماعية.

٢. رعاية الله عز وجل لأنبيائه شملت مجالات كثيرة: من أعظمها الرعاية التربوية والأخلاقية والعلمية وإرشادهم وهدايتهم إلى الطريق المستقيم، فقد آتاهم الكتاب والحكمة وزكاهم بالعلم والوحي.

٣. شملت رعاية الله لأنبيائه الجوانب الاجتماعية حيث يسر لهم معاشهم وسخر لهم طرق ذلك بما لا يتنافى مع مقامهم ودورهم.

٤. وشملت رعاية الله لأنبيائه تحذيرهم عوائق طلب العلم، وبين لهم آثار الجهل ونفرهم عنه.

٥. ومن رعاية الله لأنبيائه أن بصرهم بأساليب الدعوة وقوَّم منهاجهم فيها، ونوَّع لكل حالة ما تحتاجه من أساليب.

٦. من رعاية الأنبياء لطلابهم تعليمهم آداب الطلب والتخاطب مع العلماء، مع وصيتهم بالصبر على طلب العلم ووسائل تلقيه.

٧. من رعاية العالم بطلابه أن يختار لهم الكلام الطيب المؤثر ليدفعهم إلى العمل بالعلم وتطبيقه.

٨. من رعاية طلاب العلم بعضهم بعضاً حثُّ بعضهم بعضاً على المباحثة في العلم، والتعاون فيما بينهم في تحصيل الرزق الذي يساعدهم على مواصلة الطلب.

ثانياً: توصيات البحث:

١. رعاية الله سبحانه وتعالى لأنبيائه، ورعاية الأنبياء لطلابهم هي السنة المهجورة التي يجب أن تُحْيَا في واقع المجتمعات العلمية والتعليمية اليوم.

٢. ضرورة النظر في كتاب الله تعالى لاقتباس شيء من نوره والتعلم منه خطط إقامة جميع أمور حياتنا ولا يقتصر فقط على تلاوته والتغني به.

٣. بروز الحاجة الشديدة لبرنامج رعاية طلاب العلم، وخصوصاً طلاب العلم الشرعي، لأنهم باعوا أوقاتهم

وأعمارهم، ودنياهم من أجل إخراج الناس من الضلال إلى الهدى.

٤. يجب على المسؤولين في كل بلد التعاون مع علماء ذلك البلد في تبليغ العلم لطلابه، فدور العالم التعليم والعناية بالمتعلم، ودور المسؤول العناية بالعالم والمتعلم في تقديم ما يحتاجان إليه.

٥. ضرورة إنشاء مؤسسات منظمة تقوم على رعاية طلاب العلم خصوصاً في هذا الوقت الذي تكالبت فيه أمم الأرض الباطلة على الإسلام وأهله ومن يدعو إليه، مما جعل كثيراً من الشباب يهرب عن تعلم العلم لكي لا يصيبه مكروه.

٦. ضرورة رعاية جيل طلاب العلم في كل المجالات، وتخصيص كل فئة في نوع من العلوم.

٧. الحاجات التي رعى الله تعالى طلاب العلم بها، من التي ذكرناها وغيرها مما لم نذكره تحتاج إلى تنظيم برامج ومناهج تتبناها مؤسسات أو جمعيات خيرية أو حكومية لتتحقق هدف صناعة الأجيال، لنعيد صياغة مستقبل أمتنا على نور وهدىً من شرع الله.

٨. أملنا أن يكون هذا البحث خطوة لتحقيق ذلك الأمل الذي نتمناه والذي يتمناه المسلمون في كل مكان كما يتمناه

المخلصون لهذا الدين من علماء وأساتذة ودعاة سواء بسواء.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وممن يهتدون بهدي سيد البشر، وممن يكونون معينين على إيصال سنته إلى كل البدو والحضر، وممن يقومون على رعاية من يطلب هذه السنة ويوصلونها للناس، وأن نكون ممن يقوم على وضع لبنة من لبنات بناء صرح هذه الأُمة العظيم.

كما أسأله سبحانه أن يجزي خيراً كل من ساهم في إخراج هذا البحث بتوجيه أو فكرة أو تصويب خطأ أو بيان، وأن لا يحرمنا وإياهم الأجر، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين، وأن يكون حجة لنا لا علينا، اللهم آمين.

وفي الختام أقول هذه محاولة بشر، أراد بها الخير له ولأمته ولإخوانه في طريق طلب العلم والدعوة إلى الله، وعمل البشر لا يخلو من أخطاء وزلل فما كان في هذا العمل من خير وصواب فمن توفيق الله وحده، وما كان فيه من خطأ وزلل فمن الشيطان، وأسأل الله تعالى أن يغفره لي، وأن يتجاوز عني.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قائمة المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم.

٢ – آدم من وحي من القرآن – الدكتور عقيل حسين عقيل – دار بن كثير – دمشق – ٢٠١٠م.

٣ – أصول الدعوة – عبد الكريم زيدان – مكتبة المنار الإسلامية – ط٣ (١٣٩٦هـ).

٤ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – ط (١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

٥ – إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان – محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الثانية، ١٣٩٥ – ١٩٧٥م.

٦ – الإملاء والترقيم في الكتابة العربية – عبد العليم إبراهيم – مكتبة غريب – مصر.

٧ – البحر المحيط – محمد بن يوسف أبوحيان الأندلسي – دار الفكر – بيروت – ط٢(١٤٠٣هـ).

٨ – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد – أحمد بن محمد بن المهدي – المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان – الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة – الطبعة: ١٤١٩ هـ – ومن أول سورة الرحمن إلى آخر التفسير موافق لـ ط دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

٩ – البداية والنهاية – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري – عام النشر: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م.

١٠ – بدائع التفسير – ابن القيم – دار ابن الجوزي – الرياض.

١١ – البرهان في علوم القرآن – محمد بن بهادر ه الزركشي أبو عبد الله – دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١ – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٢ – تاريخ الأمم والملوك – محمد بن جرير الطبري – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٢ (١٤٠٨هـ).

١٣ - التحرير والتنوير - ابن عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤م.
١٤ - تفسير ابن عثيمين - جزء الذاريات - محمد بن صالح العثيمين - طبعة مؤسسة ابن عثيمين الخيرية ١٤٣٥هـ.
١٥ - تفسير الجلالين - جلال الدين محمد بن أحمد المحلي - وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - الناشر: دار الحديث - القاهرة - الطبعة ١.
١٦ - تفسير القرآن العظيم - عبدالرحمن بن محمد ابن أبي حاتم - مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - ط١(١٤١٧هـ)
١٧ - تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي - تحقيق: سامي السلامة - دار طيبة - الرياض - ط١(١٤١٨هـ).
١٨ - تفسير سورة ص - ابن عثيمين - دار الثريا - عناية مؤسسة ابن عثيمين الخيرية.
١٩ - تفسير مقاتل بن سليمان - أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي - تحقيق: أحمد فريد - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).
٢٠ - التوبة لابن أبي الدنيا - أبوبكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا - تحقيق: مجدي السيد إبراهيم - مكتبة القرآن - القاهرة.
٢١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن ناصر السعدي - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر - ط١(١٤٢٠هـ).
٢٢ - تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن - عبدالرحمن بن ناصر السعدي - ط٢ (١٤٠٩هـ).
٢٣ - جامع البيان - محمد بن جرير الطبري - تحقيق د.عبدالله التركي - مركز البحوث والدراسات الإسلامية - القاهرة - ط١ (١٤٢٢هـ)

٢٤ - جامع الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ - ١٩٨٩مـ) - اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٢٥ - الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الكتاب العربي.

٢٦ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن - عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي - المحقق: محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٢٧ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبونعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني - دار الكتاب العربي - بيروت - ط٤ (١٤٠٥هـ).

٢٨ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور - عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق د.عبدالله التركي - مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية والعربية - القاهرة - ط١(١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

٢٩ - دعوة الرسل عليهم السلام - أحمد غلوش - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٢٣ه.

٣٠ - دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية - أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية - المحقق: د. محمد السيد الجليند - الناشر: مؤسسة علوم القرآن - دمشق - الطبعة: الثانية، ١٤٠٤.

٣١ - الديباج على مسلم - جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - حققه: أبو إسحاق الحويني الاثري - دار ابن عفان - الخبر - السعودية - ط١(١٤١٦هـ ١٩٩٦م).

٣٢ - الذريعة إلى مكارم الشريعة - الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى - تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي - دار النشر: دار السلام - القاهرة - عام النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٣٣ - رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن بن قيم الجوزية - المحقق: عبد الله بن محمد المديفر - الناشر: مطابع الشرق الأوسط - الرياض - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٤ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي - دار الفكر - بيروت - ط١٤٠٣.

٣٥ - الروض الأنف (تفسير سيرة ابن هشام) - عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي، إخراج: عبدالرؤوف سعيد - دار المعرفة - بيروت - ط منقحة، (١٣٩٨هـ١٩٧٨م).

٣٦ - زاد المسير في علم التفسير - عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٣٧ - سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي - بيروت - ط٤(١٤٠٥هـ - ١٩٨٥مـ).

٣٨ - مجموعة ليدبروا آيته - حصاد ٧ سنوات تدبر - إعداد مركز تدبر.

٣٩ - سنن ابن ماجة - محمد بن يزيد بن ماجة القزويني - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ - ١٩٨٩مـ) - اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٤٠ - شعب الإيمان - أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي - تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤١٠هـ).

٤١ - صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري - اعتناء أبي صهيب الكرمي - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ١٩٨٩م).

٤٢ - صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج النيسابوري - اعتناء أبي صهيب الكرمي - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ١٩٨٩م).

٤٣ - فتاوى السبكي - علي بن عبد الكافي السبكي - الناشر: دار المعارف.

٤٤ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - أحمد بن على بن حجر العسقلاني - ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبدالباقي - دار الريان للتراث - القاهرة - ط١(١٤٠٧هـ١٩٨٦م).

٤٥ - فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان - محمد صديق خان - المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت - عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٤٦ - الفوائد - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

٤٨ - قصص الأنبياء - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي - تحقيق: مصطفى عبد الواحد

٤٩ - القصص القرآني- صلاح الخالدي - دار القلم - دمشق - ط١ (١٤١٩هـ).

٥٠ - الكامل في التاريخ - علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري المعروف بابن الأثير - دار صادر - بيروت (١٣٩٩هـ ١٩٧٩م).

٥١ - لباب التأويل (تفسير الخازن) - علي بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن - دار الفكر.

٥٢ - موسى بين يدي الخضر، مقال مجلة البيان - تصدر عن المنتدى الإسلامي- عدد٦٢ - د خالد السيف.

٥٣ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع ابن قاسم، طبعة خادم الحرمين الشريفين بإشراف رئاسة شؤون الحرمين، (١٤٠٤هـ).

٥٤ - محاسن التأويل - محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي - المحقق: محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٥٥ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي - تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - (١٤١٣هـ ١٩٩٣م).

٥٦ - المستدرك على الصحيحين - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١(١٤١١هـ - ١٩٩٠م).

٥٧ - المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٩هـ

٥٨ - مسند الإمام أحمد بن حنبل - المؤلف: أحمد بن حنبل - المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون - الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٥٩ - معالم التنزيل - أبومحمد الحسين بن مسعود البغوي - حققه محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش - دار طيبة - الرياض - ط٤ (١٤١٧هـ ١٩٩٧م).

٦٠ - مفاتيح الغيب = التفسير الكبير - محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٦١ - مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط٥، ١٩٨٤م.

٦٢ - المنهاج شرح صحيح مسلم (شرح النووي) - أبوزكريا يحيى بن شرف بن مري النووي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط٢ (١٣٩٢هـ).

٦٣ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي - دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٦٤ - النكت والعيون - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي - تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم - دار الكتب الثقافية - بيروت - ط١ (١٤١٢هـ ١٩٩٢م)

فهرس المحتويات

المقدمة ٥
سبب اختيار الموضوع ٦
خطة البحث ٦
منهجية البحث ١١
تمهيد: حول رعاية الله للأنبياء عموماً ١٣
المطلب الأول: الرعاية الشاملة لجميع الأنبياء ١٣
١ – اصطفائهم واختيارهم لتلقي الوحي وإبلاغه ١٤
٢ – إرشادهم وتعليمهم وهدايتهم إلى الطريق المستقيم ١٥
٣ – أنَّ الله آتاهم الكتاب والحكمة ١٦
٤ – جعل الله لهم من أبنائهم وذرياتهم صالحين ومصلحين ١٦
٥ – تسخير الله معاشهم ١٧
٦ – جمع الله لهم بين النبوة والابتلاء ١٧
٧ – جمع الله لهم بين النبوة والبشرية ١٨
المطلب الثاني: الرعاية الخاصة لبعضهم ١٩
١ – مكن الله بعضهم من رعاية أبنائهم حتى جعلهم أنبياء ١٩
٢ – جمع الله لبعضهم بين النبوة والملك: ٢٠
الفصل الأول: رعاية الله لأولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام ٢١

المبحث الأول: رعاية الله لنوح عليه الصلاة والسلام ٢٣
المطلب الأول: الرعاية التربوية لنوح عليه الصلاة والسلام ٢٣
١ – تربيته على التعلق بالله وصدق اللجوء إليه في كل حين ٢٣
٢ – تربيته على عبادة الشكر ٢٤
٣ – تربيته على الأمانة والعفة عما في أيدي الناس: ٢٥
٤ – تربيته على الصبر ٢٦
٥ – تربيته على الحلم ٢٦
٦ – تربيته على نصرة الضعفاء من المؤمنين ٢٦
المطلب الثاني: الرعاية الدعوية لنوح عليه الصلاة والسلام ٢٨
١ – تعليمه أسس الدعوة ٢٨
٢ – توجيهه إلى النصح للمدعوين والشفقة عليهم ٢٨
٣ – تربيته على الترفق بالمدعوين: ٣٠
٤ – تعليمه أسلوب الترغيب والترهيب: ٣٠
٥ – تعليم الله له صناعة السفن ٣١
٦ – التخفيف على نوح عليه الصلاة والسلام مما يلاقيه في دعوته ٣٢
المبحث الثاني: رعاية الله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ٣٣
المطلب الأول: الرعاية الخاصة من الله لنبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ٣٣
١ – اجتباء الله وهدايته لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ٣٣
٢ – أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً ٣٣

٣ – حفاوة الله بإبراهيم عليه الصلاة والسلام ٣٤
٤ – آتاه الله الرشد: ٣٥
٥ – أهله الله تعالى ليكون أمة ٣٥
٦ – حفظ الله لإبراهيم من النار ٣٦
٧ – تطمين قلبه برؤيته مقدرة الله على إحياء الموتى ٣٧
المطلب الثاني: الرعاية العلمية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ٣٨
أولاً: تعليمه التفكر في خلقه: ٣٨
ثانياً: تعليمه قوة الحجة ٤٠
ثالثاً: تعليمه قوة المناظرة: ٤٠
رابعاً: تعليمه البناء: ٤٢
المطلب الثالث: الرعاية التربوية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ٤٣
١ – تربيته على الأدب مع الله تعالى ٤٣
٢ – تربية الله له على أدب الحوار ٤٣
٣ – تربيته على الدعاء والالتجاء إليه: ٤٤
٤ – تربيته على الإيمان بأنه لا يمسه إلا ما كتب له: ٤٥
٥ – تربيته إدراك النعمة وعلى حمد الله وشكره على نعمه ٤٥
٦ – تربيته على التواضع وطلب قبول العمل وعدم الإعجاب
بالنفس وبالعمل ٤٦
٧ – تربية الله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام على خلق الحلم: ٤٨
٨ – تربيته على خشية الله والتوبة إليه: ٤٩

٩ – تربيته على الكرم والسخاء: ٤٩
١٠ – تربيته على الشجاعة ٥٠
١١ – سلامة القلب ٥٠
المطلب الرابع: الرعاية التربوية على السمع والطاعة المطلقة ٥١
الموقف الأول: الاستسلام لله عندما أمره بذبح ابنه ٥١
الموقف الثاني: تركه لزوجته وابنه في مكة ٥٣
المطلب الخامس: الرعاية الأسرية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ٥٥
١ – جعله الله تعالى باراً بأبيه مؤدباً في الحديث معه ٥٥
٢ – رزقه الله ابناً باراً يطيعه ويساعده ٥٦
٣ – أشبع الله تعالى له رغبة الأبوة رحمة منه سبحانه ٥٧
٤ – حفظ الله لأسرته ٥٨
٥ – رعاية الله له في صلاح أولاده وأن تكون النبوة فيهم ٥٨
٦ – تربية إسماعيل بطريقة غير مباشرة عن طريق أمه: ٥٩
٧ – بشارته بولده إسحاق وحفيده يعقوب وصلاحهم ونبوتهم ٦٠
٨ – صلاح زوجاته عليه الصلاة والسلام ٦٠
المبحث الثالث: رعاية الله لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وأمهما ٦٢
المطلب الأول: رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام من خلال أمه ٦٢
١ – رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام من خلال إرضاع أمه له وعنايتها به ٦٢

٢ – إنجائه من القتل وهو صغير بالوحي إلى أمه أن تقذفه في اليم ٦٣
٣ – رعاية الله تعالى لموسى بالتثبيت لأمه ٦٣
٤ – رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام برده إلى أمه ٦٤
المطلب الثاني: رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام رعاية خاصة ٦٦
١ – تصريح الله بحبه لموسى ٦٦
٢ – تصريح الله بأنه صنعه على عينه ٦٦
٣ – صناعة موسى خالصاً لله ٦٧
٤ – اصطفاء الله لموسى بالرسالة والكلام ٦٨
٥ – كان مقرباً من الله ٦٨
٦ – كانت له الوجاهة عند الله تعالى ٦٩
المطلب الثالث: الرعاية التربوية لموسى عليه الصلاة والسلام ٦٩
١ – أمْرُ الله سبحانه وتعالى لموسى أن يأخذ ما يوحى إليه بقوة ٦٩
٢ – تربيته على طلب العلم: ٧٠
٣ – تربية الله تعالى لموسى على الشكر ٧١
٤ – تربيته على الحياء ٧١
٥ – تربيته على الصبر: ٧١
٦ – تربيته على التواضع لله تعالى ٧٢
٧ – تربيته على أدب التواضع لأهل الفضل: ٧٣
٨ – تربيته على إظهار الافتقار إلى الله: ٧٤
٩ – تربيته على الدعاء وكثرة الذكر ٧٤

١٠ – تربيته على الثقة بالله وحسن التوكل عليه: ٧٦
١١ – الاعتراف بالخطأ والرجوع للحق ٧٧
١٢ – تربيته على نخوة الرجولة والفطرة السليمة تجاه النساء والضعفاء ٧٩
١٣ – التربية على الشجاعة وعدم الخوف ٨٠
١٤ – تربيته على القوة والأمانة ٨١
١٥ – تربيته سبحانه وتعليمه لموسى عليه الصلاة والسلام بالمواقف ٨٢
المطلب الرابع: الرعاية النفسية لموسى عليه الصلاة والسلام ٨٤
أولا: إزالة ما في صدر موسى عليه الصلاة والسلام من الخوف ٨٤
ثانيا: رعايته النفسية بتوفير أسباب الحياة الطيبة من زوجة ومعاش ومكان آمن ٨٧
المطلب الخامس: الرعاية الدعوية لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ٨٩
أولا: رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام بإرسال أخيه هارون معينا له في الدعوة ٨٩
ثانياً: توجيهه موسى وأخيه إلى الأمر بتوحيد الله والتعريف بالله سبحانه ٩٠
ثالثا: توجيهه لموسى وأخيه هارون للين في الدعوة ٩٢
رابعا: توجيهه لموسى وأخيه للدعوة بالقدوة الحسنة ٩٢
خامسا: تأهيله لموسى عليه الصلاة والسلام على المناظرة وحسن

الحوار: ٩٣
سادسا: توجيهه موسى وأخيه لأسلوب الترغيب والترهيب ٩٥
المبحث الرابع: رعاية الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ولأمه ٩٦
المطلب الأول: الرعاية التربوية لعيسى عليه الصلاة والسلام ٩٦
١ – تربيته على العبودية لله تعالى: ٩٦
٢ – تربيته على بره بأمه ٩٧
٣ – التربية على التواضع وعدم التكبر على خلق الله ٩٨
٤ – التربية على الدعاء والالتجاء لله تعالى والأدب في ذلك: ٩٨
٥ – التربية على حسن التخاطب مع الله: ٩٩
٦ – التربية على نسبة الفضل لله ١٠٠
٧ – تربيته على الجدية والإيجابية من خلال تربيته لأمه ١٠١
٨ – تربيته على شدة تعظيم الله سبحانه ١٠١
المطلب الثاني: الرعاية العلمية لعيسى عليه الصلاة والسلام ١٠٢
المطلب الثالث: الرعاية النفسية وحفظ الله لعيسى عليه
الصلاة والسلام ١٠٣
١ – رفع الله لقدر عيسى عليه الصلاة والسلام ١٠٣
٢ – الثناء بصلاح عيسى عليه الصلاة والسلام ١٠٤
٣ – تذكر الله تعالى لعيسى بنعمه تطمأنة له ١٠٥
٤ – حفظ الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ١٠٥
المطلب الرابع: الرعاية الدعوية لعيسى عليه الصلاة والسلام ١٠٧

١ – تعليمه البدء بالدعوة لتوحيد الله عز وجل ١٠٧
٢ – تيسير الله له تعليم الناس الخير ١٠٧
٣ – أيده الله تعالى بالمعجزات ١٠٨
٤ – تأييده بروح القدس (جبريل عليه الصلاة والسلام): ١٠٩
المطلب الخامس: رعاية الله تعالى لوالدته مريم عليها السلام ١٠٩
١ – عراقة نسب مريم ١١٠
٢ – دعاء امرأة عمران لمريم وقبول الله لها ١١٠
٣ – اصطفاء الله تعالى لمريم ١١١
٤ – تكليف الله تعالى من يكفل مريم ١١١
٥ – صلاح مريم وكثرة عبادتها ١١٢
٦ – رزق الله تعالى لمريم: ١١٣
٧ – تثبيت الله لمريم ١١٤
٨ – تقرير الله تعالى لعفة مريم ١١٥
الفصل الثاني: نماذج من رعاية الله لبقية الرسل عليهم الصلاة والسلام ١١٧
المبحث الأول: رعاية الله لآدم عليه الصلاة والسلام ١١٨
المطلب الأول: الرعاية التربوية لآدم عليه الصلاة والسلام ١١٨
١ – تربيته على التواضع ١١٨
٢ – تكريم الله لآدم عليه الصلاة والسلام بسجود الملائكة له: ١١٨
٣ – تحذير الله لآدم من إبليس وحسده ١١٩

٤ – ترغيب آدم في الجنة ونعيمها ١١٩
٥ – اختبار آدم وتعليمه أسباب الثبات ١٢٠
٦ – تربيته على احترامه للقسم ١٢٠
٧ – تربية آدم على ستر العورة: ١٢٠
المطلب الثاني: الرعاية العلمية لآدم عليه الصلاة والسلام ١٢١
١ – تعليم الله آدم الأسماء ١٢١
٢ – تعليم الله آدم التوبة وأدب الدعاء ١٢٢
٣ – تعليم الله بَنِي آدم الدفن ١٢٣
المبحث الثاني: رعاية الله تعالى لإسماعيل عليه الصلاة والسلام ١٢٤
المطلب الأول: الرعاية التربوية والعلمية لإسماعيل عليه
الصلاة والسلام ١٢٤
أولاً: الرعاية التربوية ١٢٤
ثانيا: الرعاية العلمية ١٢٧
المطلب الثاني: الرعاية الاجتماعية لإسماعيل عليه الصلاة والسلام ١٢٨
أولاً: الرعاية الأسرية ١٢٨
١ – إلهام الله تعالى لإبراهيم دعاءه لأسرته ومنهم إسماعيل: ١٢٨
٢ – رعاية والده له بعد زواجه: ١٢٨
ثانياً: الرعاية المادية؛ وذلك في أمور منها ١٢٨
المبحث الثالث: رعاية الله تعالى ليوسف عليه الصلاة والسلام ١٣٠
المطلب الأول: الرعاية التربوية ليوسف عليه الصلاة والسلام ١٣٠

١ – تربيته على العبودية لله وحده والالتجاء إليه والتبرؤ من الحول والقوة ١٣٠
٢ – تربيته على الإخلاص ١٣٠
٣ – تربيته على الصبر بكل أنواعه ١٣١
٤ – تربيته على نسب الفضل لأهله ١٣١
٥ – تربيته على العفة ١٣٢
٦ – تربيته على الذكاء والفطنة: ١٣٣
٧ – تربيته على كظم الغيظ والحلم والعفو والصفح عمَّن ظلمه عند المقدرة ١٣٣
٨ – تربيته على إنكار الذات ١٣٤
٩ – تربيته على عدم جرح المشاعر ١٣٤
المطلب الثاني: الرعاية العلمية ليوسف عليه الصلاة والسلام ١٣٥
١ – تعليمه تفسير وتأويل الرؤيا ١٣٥
٢ – تعليمه العلم النافع مع الحكمة ١٣٦
٣ – تعليمه مهارة القيادة ١٣٦
٤ – علمه العقيدة والدعوة ١٣٧
٥ – تعليمه فن وأدب الحوار ١٣٧
المطلب الثالث: الرعاية الأسرية ليوسف عليه الصلاة والسلام ١٣٨
المطلب الرابع: الرعاية الدعوية ليوسف عليه الصلاة والسلام ١٤٠
المطلب الخامس: الرعاية الأمنية ليوسف عليه الصلاة والسلام ١٤٣

المطلب السادس: الرعاية المهارية ليوسف عليه الصلاة والسلام ١٤٤
١ – تأويل الرؤيا: ١٤٤
٢ – الحُكم والإدارة: ١٤٤
٣ – التميز بالحفظ والأمانة والعلم بالصنعة: ١٤٥
٤ – حسن الإدارة والتدبير: ١٤٥
٥ – حسن الخطاب ١٤٥
المطلب السابع: رعاية الله ليوسف عليه الصلاة والسلام وإخوته
من خلال والدهم يعقوب عليه الصلاة والسلام ١٤٦
أولاً: الرعاية الأمنية ١٤٦
ثانياً: الرعاية التربوية العلمية: ١٤٧
المبحث الرابع: رعاية الله لداود عليه الصلاة والسلام ١٤٩
المطلب الأول: الرعاية التربوية لداود عليه الصلاة والسلام ١٤٩
المطلب الثاني: الرعاية العلمية لداود عليه الصلاة والسلام ١٥٢
المطلب الثالث: الرعاية المهارية لداود عليه الصلاة والسلام ١٥٤
١ – آتاه الله الملك: ١٥٤
٢ – سَخّرَ الله تعالى لداود الجبال والطير والحديد: ١٥٥
٣ – علَّم الله داود عليه الصلاة والسلام صناعة الدروع ١٥٥
٤ – علم الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام أن يأكل من عمل يده: ١٥٦
٥ – علمه الله سبحانه مهارة القضاء والإصلاح بين الناس ١٥٧
المبحث الخامس: رعاية الله لسليمان عليه الصلاة والسلام ١٥٨

المطلب الأول: الرعاية التربوية لسليمان عليه الصلاة والسلام ١٥٨
أولا: تربيته على الدعاء ١٥٨
ثانيا: تربية على الشكر والتفنن فيه: ١٥٩
ثالثا: تربيته على التوبة والإنابة لله تعالى ١٦٢
رابعا: التربية على التواضع للعلم ولمن هو أعلم ١٦٣
خامسا: تربيته على القناعة بما رزقه الله وعدم الخضوع للمغريات
الدنيوية ١٦٣
سادساً: تربيته على التثبت من الأخبار: ١٦٤
المطلب الثاني: الرعاية العلمية لسليمان عليه الصلاة والسلام ١٦٥
١) تعليم الله تعالى لسليمان عليه الصلاة والسلام ١٦٥
٢) تفضيل الله تعالى سليمان عليه الصلاة والسلام بالعلم والفهم ١٦٥
المطلب الثالث: الرعاية المهارية لسليمان عليه الصلاة والسلام ١٦٦
١) آتاه الله تعالى الملك ١٦٦
٢) تربيته على الإتقان في العمل ومتابعته الرعية بنفسه ١٦٦
٣) رعاية التسخير والنصرة والتأييد ١٦٧
المطلب الرابع: الرعاية الدعوية لسليمان عليه الصلاة والسلام ١٦٩
١ – تعليمه الدعوة إلى التوحيد ١٦٩
٢ – حرصه على الدعوة إلى الله ١٦٩
٣ – تعليمه مهارة الإقناع الدعوي وإقامة الحجة: ١٧٠
المبحث السادس: رعاية الله لأيوب عليه الصلاة والسلام ١٧١

المطلب الأول: رعاية الله تعالى أيوب عليه الصلاة والسلام من خلال ابتلائه ١٧١
المطلب الثاني: الرعاية التربوية لأيوب عليه الصلاة والسلام ١٧٣
١ – تربيته على اللجوء لله تعالى ١٧٣
٢ – تربيته على حسن الأدب في الدعاء ١٧٣
٣ – تربيته على الصبر على البلاء: ١٧٥
٤ – تربيته على التوبة والرجوع إلى الله: ١٧٥
المطلب الثالث: الرعاية الصحية والاجتماعية لأيوب عليه الصلاة والسلام ١٧٦
المبحث السابع: رعاية الله لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام ١٧٨
المطلب الأول: الرعاية التربوية والعلمية لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام ١٧٨
١ – التربية على العبودية لله تعالى ١٧٨
٢ – تربيته على كثرة الذكر والدعاء وأدب المناجاة لربه ١٧٩
٣ – تربيتهما على قدرة الله تعالى على كل شيء ١٨١
٤ – تربيته على التواضع ١٨٣
٥ – تربيته على الحنان ١٨٣
٦ – رزقه الطهارة والعفة ١٨٤
٧ – رزقه السلامة والإسلام ١٨٤
المطلب الثاني: الرعاية الأسرية لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام ... ١٨٥

١ – إصلاح زوجه والدة يحى ١٨٥
٢ – إشباع رغبة الأبوة: ١٨٥
٣ – توفيق الله لزكريا بحسن الدعاء بالذرية الصالحة ١٨٥
٤ – جعل الله يحيى باراً بوالديه ١٨٦
المطلب الثالث: الرعاية الدعوية لزكريا ويحيى عليهما الصلاة
والسلام ١٨٦
١ – حرصه على ذرية تخلفه في دعوته ١٨٦
٢ – حرص زكريا على إبلاغ دعوته بكل وسيلة ١٨٨
٣ – إصلاح يحيى واصطفائه نبياً ١٨٨
٤ – أعطى الله تعالى يحيى الحكم وهو صبي ١٨٩
الفصل الثالث: رعاية الله لأتباع الأنبياء والرسل في طلب العلم
وتعليمه ١٩٠
المبحث الأول: قصة مؤمن آل فرعون ١٩١
المطلب الأول: عرض قصة مؤمن آل فرعون من القرآن ١٩١
المطلب الثاني: عرض قصة مؤمن آل فرعون باختصار ١٩٣
المطلب الثالث: فوائد منهجية في رعاية طلاب العلم من خلال
القصة ١٩٥
المبحث الثاني: قصة موسى والخضر ١٩٨
المطلب الأول: عرض قصة موسى والخضر من القرآن ١٩٨
المطلب الثاني: معنى الآيات إجمالاً ٢٠٠

المطلب الثالث: الفوائد المستنبطة من القصة ٢٠٤
١ – دعاء موسى الله تعالى التيسير في الوصول للعلم وأخذه
والرحلة من أجله: ٢٠٤
٢ – فضيلة العلم، والرحلة في طلبه وأنه أهم الأمور: ٢٠٥
٣ – "أخذ الخادم في الحضر والسفر لكفاية المؤن، وطلب الراحة: ٢٠٥
٤ – تحمل المشاق في الرحلة لطلب العلم ٢٠٥
٥ – كل ما أمر الله به لا مشقة فيه ولا نصب ٢٠٦
٦ – أن يضع الطالب لنفسه هدفاً من رحلته ويجد في طلبه: ٢٠٦
٧ – الأدب في الحديث مع العلماء: ٢٠٦
٨ – إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى والإقرار بذلك،
وشكر الله ٢٠٧
٩ – تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه: ٢٠٧
١٠ – حرص طالب العلم والمعلم على الاهتمام بالعلم النافع
تعليماً وتعلماً ٢٠٧
١١ – توضيح العلماء لطلابهم صعوبة الصبر على العلم وصعوبة
تلقي العلم: ٢٠٨
١٢ – العزم على الصبر والطاعة في سبيل تلقي العلم والاستعانة
بالله: ٢٠٨
١٣ – جواز وضع العالم شروطاً لمن يأتي لطلب العلم: ٢٠٨
١٤ – تعليم العلماء لطلابهم آداب الطلب والتخاطب مع العلماء: ٢٠٩

١٥ – مراعاة المعلم مستوى المتعلم ووقت التعليم ٢٠٩
١٦ – اهتمام المعلم بطلاب العلم ٢٠٩
١٧ – الأمر بالتأني والتثبت: ٢٠٩
١٨ – صبر العالم وتلطفه بالطالب: ٢١٠
١٩ – اعتذار الطالب وطلب المسامحة عند الخطأ: ٢١٠
٢٠ – عدم التعسير على الطلاب ومحاسبتهم عند أول خطأ ٢١٠
٢١ – تبيين المشكل من المعلم للطلاب ٢١١
٢٢ – أن يكون المعلم قدوة للطالب في عمل الخير: ٢١١
٢٣ – إعطاء تغذية راجعة للمتعلم ٢١١
٢٤ – تعليم الطالب التأدب في الخطاب ٢١١
٢٥ – أن مَن لا صبر له لا يدرك مطلبه ٢١٢
٢٦ – وجوب التأني عند الإنكار في المحتملات ٢١٢
المبحث الثالث: قصة الغلام والساحر والراهب ٢١٣
المطلب الأول: ما ورد من القصة في القرآن والسنة ٢١٣
المطلب الثاني: الفوائد العملية من القصة ٢١٦
أولاً: قواعد للعلماء والمسؤولين عن رعاية طالب العلم: ٢١٦
ثانياً: قواعد رعاية طالب العلم عند المعلم الصالح: ٢١٨
المبحث الرابع: قصة أصحاب الكهف ٢٢١
المطلب الأول: عرض إجمالي لقصة أصحاب الكهف ٢٢١

المطلب الثاني: فوائد في رعاية طلاب العلم من قصة أصحاب الكهف ٢٢٣
الخاتمة ٢٢٦
قائمة المصادر والمراجع ٢٣٠
فهرس المحتويات ٢٣٧

منهج الإسلام في رعاية
طلاب العلم المغتربين

٥

رعاية الله تعالى للأنبياء وأتباعهم في القرآن

الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً بشر من آحاد البشر اصطفاهم الله بأن جعلهم أنبياء وأهَّلهم لذلك بالعلم ليعلموا الناس ويرشدوهم إلى الله تعالى، وهذا العلم الذي تعلموه من عند الله تعالى أوحى الله به إليهم عن طريق جبريل عليه الصلاة والسلام، فلا غرابة أن نقول عن هؤلاء الأنبياء أنهم كانوا طلبة علم يتعلمون ويعلمون.

ولتلك الفئة الذين اصطفاهم الله أنبياء عنايةٌ خاصةٌ من الله تعالى، فالله تعالى هيأهم لحمل وتبليغ رسالته للناس فحظوا بكل أنواع الرعاية الإلهية.

وهذا البحث محاولة لعرض رعاية الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام الذين اعتنى بهم الله تبارك وتعالى، وربَّاهم وعلمهم، وأهَّلهم لحمل رسالته.

دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع